

حقيقة خلق

السماء والأرض وما بينهما

للفقير إلى عفوره

أبوالمهند شكري بن التوفيق بن عثمان

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان أما بعد:
فهذه رسالة تبين حقيقة خلق السماوات والأرض وما بينهما كما جاء في الكتاب والسنة والآثار
أردت من خلالها بيان الحقائق التي قررها الوحي، وبينها النبي ﷺ، وذكرها السلف، خلافا
للتصور الباطل الذي يقرره المنجمون والفلاسفة والفيزيائيون.
وقد حرصت أن تكون الرسالة مختصرة ميسرة كي تكون قريبة للفهم سهلة القراءة، وقد
أكثر فيها من إيراد الأدلة من الكتاب والسنة والآثار ليظهر الحق لكل ذي عينين.
هذا وأسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا
اجتنابه.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو المهند شكري بن التوفيق بن عثمان

بتونس في رمضان سنة ١٤٤١

قواعد عامة:

اعلم أرشدك الله لطاعته أن فهم هذه الرسالة يقوم على تصور قواعد عظيمة أسوقها لك مقسمة مبيّنة حتى ينجلي لك أصل الموضوع وقطب رحاه:

القاعدة الأولى:

خلق السماوات والأرض وما بينهما، وكيف كان، وتفصيل ذلك، من علم الغيب الذي لا يُعلم إلا بالوحي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ

الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف: ٥١

والمنجمون والفلاسفة ومن تبعهم من الفزيائيين أرادوا قيس حقائق الخلق بقوانين عالم الشهادة بعقولهم، فخاضوا في خرص باطل وزعموا أنهم بقياساتهم وحساباتهم علموا بدء الخلق ومنتهاه، فكذبوا على الله وأتوا بقول عظيم، وصار قولهم يُدرّس في المدارس والمعاهد والجامعات، وألبسوه لباس العلم وهو من أجهل الجهل وأبطل الباطل. فحقائق الخلق إنّما تستمدّ من الوحي لا من كلام الفلاسفة والمنجمين .

القاعدة الثانية:

حقائق الخلق وصفة السماوات والأرضين وما بينهما علّمه الله ﷻ لنبيه ﷺ، وعلمه النبي ﷺ لأصحابه ﷺ، وعلمه الصحابة للتابعين، وبهذا تعلم أن كلّ ما ورد في السنّة والآثار من بيان حقائق الخلق إنّما أصله الوحي.

• ففي صحيح البخاري (١٠٦ / ٤)

عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ".

فالله ﷻ هو الذي علم نبيه ﷺ بدء الخلق، والرسول ﷺ هو من علم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فلا يُقبل حينئذٍ قول من يزعم أنّ الصحابة تلقوا الأخبار المتعلقة بالخلق والسموات والأرض عن بني إسرائيل، أو كان مجرد ذكر للتصورات السائدة في عصرهم، فهذا من أبطل القول وأشنعه.

القاعدة الثالثة:

لا يحلّ لمسلم أخذ تصوره للخلق من الكفار والزنادقة ونبذ الكتاب والسنة والآثار وراء ظهره والتعلل بكون ما يذكره أولئك المبطلون صار علما مستقرا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

﴿٣﴾ الأعراف: ٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَيْكُمُ الْفِتْنَةَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفِتْنَةَ وَلَا تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا تُفْتَنُوا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْرَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ إِنَّكُمْ تُرْجَوْنَ إِلَيْهِ

﴿١٢١﴾ الأنعام: ١٢١

القاعدة الرابعة:

المسلم لا يصدّق الكافر في الخبر المجرد إذا لم يُقيم عليه دليلا، والأصل في الكافر أنّه متهم عند المسلم فيما يُخبر به، فما بالك إذا كانت أخباره تصادم الكتاب والسنة والآثار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ

﴿١٠٥﴾ النحل: ١٠٥

القاعدة الخامسة:

تصديق الفلاسفة والمنجمين والزنادقة هو من موالاة المشركين الذين نهانا الله عن موالاتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخَفَى صُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ آل عمران: ١١٨

و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا اللَّهَ عَالِيَكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١١٤﴾﴾ النساء: ١٤٤

و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ المائدة: ٥١

و قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَتَقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ المائدة: ٥٧

فإذا فهمت هذه القواعد سهّل عليك بعد ذلك فهم ما في هذه الرسالة ولم تعظم عندك مخالفة ما درّسوه لك وكذبوا به عليك سنين طويلة من تصوير مكذوب محرّف للخلق، وهان عليك تكذيب وكالة "نازا" في زعمها أنها بلغت النجوم ووصلت للقمر وأرسلت روادا إلى السماء التي يجحدون وجودها أصلا ويسمونها فضاءً وفراغا.

وإذا فهمت هذه القواعد لم تتعاضم في صدرك بأن تحكم بالبطلان على كلّ ما يوردونه من أكاذيب ومزاعم، ولن ترهبك الصور التي يركّبونها، ولا أفلامهم المنحولة التي يدّعون أنهم صوّروها فوق القمر أو في المريخ - خَسِئُوا وخابوا ولن يعدوا أقدارهم -.



فاستعن بالله ولا يهولنك كذبهم، ولا تجدنّ في نفسك حرجا ولا رهبة في مخالفتهم وتكذيبهم
وتسفيه أحلامهم.

إِذَا جَاءَ مُوسَىٰ وَالْقَىٰ الْعَصَىٰ فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ

«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

الباب الأول: الأرض

الأرض سطيحة، أمدها الله جل وعلا من تحت الكعبة على الماء مسيرة خمس مائة سنة طولا وخمس مائة سنة عرضا، وأرساها بالجبال كي لا تميد بنا. ونحن نسكن منها جزءا يسيرا وهي أكبر من ذلك بكثير، وإنما مكن الله جل وعلا ذا القرنين فأمده بالأسباب فبلغ مشارقها ومغاربها، ويحيط بهذه الأرض جبل قاف. والأرض ثابتة لا تدور ولا تتحرك إلا بعارض يعرض لها كالزلازل. وتحت هذه الأرض التي نعيش عليها أرضون مثلها، وعددُ الأرضين كلها سبعة، وفي الأرض السابعة السفلى جهنم. والأرض السابعة كُيِّسَتْ على ظهر النُّون وهو الحوت العظيم. وخلق الله تعالى الأرض في أربعة أيام.

فصل: في تسطيح الأرض ومد الله لها من تحت الكعبة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾ ﴿الغاشية: ٢٠﴾

- جاء في تفسير البغوي - إحياء التراث (٥ / ٢٤٦)
"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا: هَلْ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ الْإِبِلِ أَوْ يَرْفَعَ مِثْلَ السَّمَاءِ أَوْ يَنْصِبَ مِثْلَ الْجِبَالِ أَوْ يَسْطَحَ مِثْلَ الْأَرْضِ غَيْرِي؟".
- وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٦٧٩)

"وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ يَعْنِي كَيْفَ بَسَطَتْ مِنْ تَحْتِ الْكَعْبَةِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ".

• وفي تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤ / ٣٤٠)

"وَقَوْلُهُ: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: ٢٠] يَقُولُ: وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، يُقَالُ: جَبَلٌ مُسَطَّحٌ: إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ اسْتِوَاءٌ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، " {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: ٢٠] أَيُّ بُسِطَتْ، يَقُولُ: أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَا أَرَادَ فِي الْجَنَّةِ " اهـ

• وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٥١)
"سُطِحَتْ أَيُّ بَسِطَتْ". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٤٢٢)
"وإلى الأرض كيف سطحت أي بسطت". اهـ

• وفي تفسير أبي زيد الثعالبي [الجواهر الحسان] (٥ / ٥٨٣)
"وظاهر الآية أَنَّ الْأَرْضَ سَطَحٌ لَا كُرَةٌ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ". اهـ
• وفي تفسير الجلالين (ص: ٨٠٥)

"وَقَوْلُهُ سُطِحَتْ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْأَرْضَ سَطَحٌ وَعَلَيْهِ عُلَمَاءُ الشَّرْعِ لَا كُرَةٌ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْهَيْئَةِ وَإِنْ لَمْ يَنْقُضْ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الشَّرْعِ". اهـ

• وفي تفسير ابن عطية (٥ / ٤٧٥)

"وظاهر هذه الآية أَنَّ الْأَرْضَ سَطَحٌ لَا كُرَةٌ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَالْقَوْلُ بِكُرِّيَّتِهَا وَإِنْ كَانَ لَا يَنْقُضُ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الشَّرْعِ، فَهُوَ قَوْلٌ لَا يَثْبُتُهُ عُلَمَاءُ الشَّرْعِ". اهـ

تنبيه: ما جاء في النقلين السابقين من كون القول بكروية الأرض لا ينقض ركنًا من أركان الشرع غير مُسَلَّم، وقد صدر هنا من جهة سلوك المتكلم لمسلك الأشاعرة، فهذا القول الذي يلزم منه نفي العلو عن ذات الباري جلّ وعلا ليس مضرا عندهم - أعني الأشاعرة -.

أما أهل السنة فيذكرون شكل السماء والأرض في كتب العقائد لتعلق ذلك باعتقاد علو الله جلّ وعلا، وسيأتي في فصل قريب كلامُ حرب بن إسماعيل الكرماني في عقيدته التي نقل عليها إجماع أهل السنة ووصف فيه شكل السماوات والأرضين كما جاءت في النصوص والآثار وجعل ذلك من المسائل التي يُعدُّ من خالف فيها خارجاً عن السنة.

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]

• جاء في تفسير الطبري (٢٤ / ٩٤)

"الدَّحْوُ إِنَّمَا هُوَ الْبَسْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَالْمُدُّ يُقَالُ مِنْهُ: دَحَا يَدْحُو دَحْوًا، وَدَحَيْتُ أُدْحِي دَحِيًّا لُغَتَانِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:
دَارٌ دَحَاهَا ثُمَّ أَعْمَرْنَا بِهَا ... وَأَقَامَ بِالْأُخْرَى الَّتِي هِيَ أَجْمَدُ
وَقَوْلُ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ فِي نَعْتِ غَيْثٍ:
يَنْفِي الْحَصَى عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ مُبْتَرَكٌ ... كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِي
وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.
ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠]: أَيِ بَسَطَهَا.
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ، قَالَ: ثنا رَوَّادٌ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ السُّدِّيِّ، {دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠]
قَالَ: بَسَطَهَا". اهـ

• وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٣٨)

"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَيِ بَسَطَهَا". اهـ

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٥٧٨)

"وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يَقُولُ بَعْدَ بِنَاءِ السَّمَاءِ، بَسَطَهَا مِنْ تَحْتِ الْكَعْبَةِ مَسِيرَةَ خَمْسَاءَةِ
عَامٍ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
أُنثَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ الرعد: ٣

• جاء في تفسير الطبري (١٣ / ٤١٣)

"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ فَبَسَطَهَا طُولًا وَعَرْضًا". اهـ

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٣٦٦)

"وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ يَعْنِي بَسَطَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتَ الْكَعْبَةِ فَبَسَطَهَا بَعْدَ الْكَعْبَةِ بِقَدْرِ أَلْفَى
سَنَةٍ فَجَعَلَ طَوْلَهَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَعَرْضَهَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ". اهـ

• وفي تفسير الماوردي = النكت والعيون (٣ / ٩٢)

"قوله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ} أي بسطها للاستقرار عليها، رداً على من زعم أنها
مستديرة كالكرة". اهـ

• وفي تفسير القرطبي (٩ / ٢٨٠)

"مَسْأَلَةٌ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْضَ كَالْكُرَةِ.
ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ الْقَوْلُ بِوُقُوفِ الْأَرْضِ وَسُكُونِهَا وَمَدَّهَا، وَأَنَّ
حَرَكَتَهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْعَادَةِ بِزَلْزَلَةٍ تُصِيبُهَا". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ الذاريات: ٤٨

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ١٣٢)

"وَفِي الْأَرْضِ آيَةٌ فَرَشْنَاهَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِي خَمْسِمِائَةِ عَامٍ مِنْ تَحْتَ الْكَعْبَةِ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ﴿١٩﴾ نوح: ١٩

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٤٥١)

"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا مَسِيرَةً خَمْسَاةَ سَنَةٍ مِنْ تَحْتِ الْكَعْبَةِ". اهـ

• وجاء في العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٤ / ١٣٨١)

"بسنده عن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «وُضِعَ الْبَيْتُ فِي الْمَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الدُّنْيَا بِالْفَيِّ سَنَةٍ، ثُمَّ دُحِيتِ الْأَرْضُ تَحْتَ الْبَيْتِ»". اهـ

• وفي أخبار مكة للأزرقي (١ / ٣٢)

"بسنده عن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا هَفَافَةً، فَصَفَقَتِ الْمَاءَ، فَأَبْرَزَتْ عَنْ خَشْفَةٍ، فِي مَوْضِعِ هَذَا الْبَيْتِ كَأَنَّهَا قُبَّةٌ فَدَحَا اللَّهُ الْأَرْضِينَ مِنْ تَحْتِهَا فَمَادَتْ، ثُمَّ مَادَتْ فَأَوْتَدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْجِبَالِ، فَكَانَ أَوَّلُ جَبَلٍ وُضِعَ فِيهَا أَبُو قُبَيْسٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمَّ الْقُرَى»". اهـ

• وفي أخبار مكة للأزرقي (١ / ٣١)

"عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: «كَانَتِ الْكَعْبَةُ غُثَاءً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمِنْهَا دُحِيتِ الْأَرْضُ»". اهـ

• وفي أخبار مكة للأزرقي (١ / ٣٢)

"بسنده عن مجاهد يَقُولُ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِينَ»". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِلَّا لِمَنْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ

وَأَخْشَوْنِي وَلَا تَمْرِنَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٥٠

• جاء في تفسير الطبري (٢/ ٦٦٥)

"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ: فَأَيْنَمَا كُنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ أُيِّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَحَوِّلُوا وُجُوهَكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَتَلْقَاءَهُ". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٤)

"عن أبي العالية، قوله: فولوا وجوهكم شطره أي تلقاءه وروي عن قتادة، والربيع بن أنس، نحو ذلك". اهـ

تنبيه: لو كانت الأرض كرة على الشكل الذي يصوره المنجمون والفلاسفة لاستحال استقبال القبلة، ولكان هذا من الأمر بما لا يطاق.

• وفي الصحيحين:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى»".

ففي هذا الحديث يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن تقوم الساعة حتى تخرج نار عظيمة من أرض الحجاز تضيء في بصرى الشام، وهذا يدل دلالة قطعية على كون الأرض سطيحة، إذ لو كانت كروية لما أمكن للضوء أن يستدير إلى أن يصل إلى الشام، وقد قع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرن السابع.

• فقد جاء في البداية والنهاية لابن كثير [ط هجر (١٧/ ٣٢٨)]:

"ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ

فِيهَا كَانَ ظُهُورُ النَّارِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ، وَقَدْ بَسَطَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِهِ "الذَّيْلُ" وَشَرَحَهُ وَاخْتَصَرَهُ، وَاسْتَحْضَرَهُ مِنْ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ وَرَدَتْ

مُتَوَاتِرَةً إِلَى دِمَشْقَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ بِصِفَةِ أَمْرِ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي شُوهِدَتْ مُعَايَنَةً، وَكَيْفِيَّةَ خُرُوجِهَا وَأَمْرِهَا، وَهَذَا مُحَرَّرٌ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ مِنَ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فِي أَوَائِلِ هَذَا الْكِتَابِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَمُلَخَّصٌ مَا أوردَهُ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ كُتُبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى سَائِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، بِخُرُوجِ نَارٍ عِنْدَهُمْ فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَكُتِبَتْ الْكُتُبُ فِي خَامِسِ رَجَبٍ، وَالنَّارُ بِحَالِهَا، وَوَصَلَتْ الْكُتُبُ إِلَيْنَا فِي عَاشِرِ شَعْبَانَ. ثُمَّ قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَرَدَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ كُتُبٌ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيهَا شَرْحُ أَمْرِ عَظِيمٍ حَدَّثَ بِهَا، فِيهِ تَصْدِيقٌ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ مَنْ أَثَقُ بِهِ مِمَّنْ شَاهَدَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ كُتِبَ بِتِيْمَاءَ عَلَى ضَوْئِهَا الْكُتُبُ. قَالَ: وَكُنَّا فِي يَوْمِنَا تِلْكَ اللَّيَالِي، وَكَأَنَّ فِي دَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا سَرَاجًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَرٌّ وَلَفْحٌ عَلَى عِظْمِهَا، إِنَّمَا كَانَتْ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثم نقل عن أبي شامة كلاما كثيرا وفيه: وَبَانَ عِنْدَنَا بِدِمَشْقَ أَثَرُ الْكُصُوفِ مِنْ ضَعْفِ نُورِهَا عَلَى الْحَيَّطَانِ، وَكُنَّا حَيَارَى مِنْ ذَلِكَ أَيَسِّ هُوَ؟ إِلَى أَنْ جَاءَنَا هَذَا الْخَبَرُ عَنْ هَذِهِ النَّارِ". انتهى.

• وقال القحطاني في نونيته الشهيرة:

فَهُمَا لِعِلْمِ اللَّهِ مُدْعِيَانِ	"كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنْجِمُ مِثْلُهُ
وَهُمَا بِهَذَا الْقَوْلِ مُقْتَرِنَانِ	الْأَرْضُ عِنْدَ كُلِّهِمَا كُرْوِيَّةٌ
بَدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ	وَالْأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ
وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ	وَاللَّهُ صَيَّرَهَا فَرَاشًا لِلوَرَى
وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا تَبْيَانِ	وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ

أَحَاطَ بِالْأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ
 أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا
 أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُمُيُونَهَا
 أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا
 أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بَعْدَ ثَمَارِهَا
 اللَّهُ أَحْكَمَ خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ

أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَخِ الْأَكْنَانِ
 أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ
 مَاءً بِهِ يَرْوَى صَدَى الْعَطْشَانِ
 وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلَعِ وَالْقَنَوَانِ
 أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ
 صُنْعًا وَأَتَقَنَ أَيُّهَا إِتْقَانِ".

- ويقول أبو القاسم مسلمة بن القاسم القرطبي المتوفى ٣٥٣، نقلاً لإجماع أهل السنة في كتابه "الرد على أهل البدع وتبيين أصول السنة":
 "وأن السموات طباق بعضها فوق بعض، والأرض طباق بعضها فوق بعض سطحية، والجنة فوق السماوات، والعرش فوق ذلك، والله عِلَّاهُ فوق كل شيء". اهـ

فصل: في إرسائها بالجبال

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿النحل: ١٥﴾

- جاء في تفسير الطبري (١٤ / ١٨٩)
 "الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [النحل: ١٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّضًا، أَنْ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ، وَهِيَ جَمْعُ رَاسِيَّةٍ، وَهِيَ الثَّوَابِتُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ وَقَوْلُهُ: {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل: ١٥] يَعْنِي: أَنْ لَا تَمِيدَ بِكُمْ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا} [النساء: ١٧٦] وَالْمَعْنَى: أَنْ لَا تَضِلُّوا وَذَلِكَ أَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَرَسَى الْأَرْضَ بِالْجِبَالِ لِيَلَّا يَمِيدَ خَلْقُهُ الَّذِي عَلَى

ظَهَرَهَا، بَلْ وَقَدْ كَانَتْ مَائِدَةً قَبْلَ أَنْ تُرْسَى بِهَا، كَمَا: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ: "أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمُورٌ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هَذِهِ بِمُقَرَّةٍ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدًا فَأَصْبَحَتْ صُبْحًا وَفِيهَا رَوَاسِيهَا "

ثم قال بعد ذلك: وَالْمَيْدُ: هُوَ الْإِضْطِرَابُ وَالتَّكْفُوفُ، يُقَالُ: مَادَتِ السَّفِينَةَ تَمِيدُ مَيْدًا: إِذَا تَكَفَّاتْ بِأَهْلِهَا وَمَالَتْ، وَمِنْهُ الْمَيْدُ الَّذِي يَعْتَرِي رَاكِبَ الْبَحْرِ، وَهُوَ الدُّوَارُ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ:

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ، قَالَ: ثنا شَيْبُلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: " {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل: ١٥] أَنْ تَكْفَأَ بِكُمْ ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ لقمان: ١٠

• جاء في تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٦٧١)

"قَالَ: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} [لقمان: ١٠]، يَعْنِي: الْجِبَالَ أَثْبَتَ بِهَا الْأَرْضَ. {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}، أَي: لِئَلَّا تُحَرِّكَ بِكُمْ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْأَشْهَبِ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيعٌ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا هَذِهِ لَا يَقْرُ لَكَ عَلَى ظَهْرِهَا خَلْقٌ، فَأَصْبَحَ قَدْ وَقَطَهَا بِالْجِبَالِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ مَا قَدْ أُرْسِيَتْ بِهِ الْأَرْضُ، عَجِبُوا فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ النَّارُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَاءُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ ". اهـ

فصل: في عدد الأرضين، ومساحة الأرض وحجمها وبيان أنها أوسع من القدر الذي نسكنه وأن الله أمد ذا القرنين بالأسباب حتى بلغ المشرق والمغرب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) الطلاق: ١٢

• جاء في تفسير الطبري (٧٨ / ٢٣)

"بسنده عن عبد الله (أي ابن مسعود)، قال: خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ غِلْظُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَفَوْقَ السَّبْعِ السَّمَوَاتِ الْمَاءُ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَوْقَ الْمَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ. وَالْأَرْضُ سَبْعٌ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَغِلْظُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ". اهـ

• وفي تفسير الطبري (٨٠ / ٢٣)

"بسنده عن قتادة، قوله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِهِ، وَأَرْضٍ مِنْ أَرْضِهِ، خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَضَاءٌ مِنْ قَضَائِهِ". اهـ

• وفي تفسير الطبري (٤٦٣ / ١)

"بسنده عن مجاهد: " فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: ٢٩] قَالَ: خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} قَالَ: بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، وَسَبْعَ أَرْضِينَ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٢ / ٢)

"حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، ثنا الليث، حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن عمر مولى غفرة، أن كعباً، ذكر علو الجبار فقال: إن الله تعالى جعل ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وكثف السماء مثل ذلك، وما بين كل سماءين مثل ذلك، وكثفها مثل ذلك، ثم خلق سبع أرضين، فجعل ما بين كل أرضين، ما بين سماء الدنيا والأرض، وكثف كل أرض مثل ذلك، وكان العرش على الماء، فرفع الماء حتى جعل عليه العرش، ثم ذهب بالماء حتى جعله تحت الأرض السابعة، فما بين أعلى الماء الذي على السماء إلى أسفله كما بين أسفله". اهـ

• وفي الصحيحين:

"عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»".

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢٢١٨ / ٧)

"بسنده عن وهب بن منبه قال: ما العمارة في الدنيا في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢٢١٨ / ٧)

"بسنده عن الأوزاعي قال: قال عبد الله بن عمرو، الدنيا مسيرة خمسمائة عام أربع مائة خراب ومائة عمران في أيدي المسلمين مدة ذلك مسيرة سنة". اهـ

• وفي العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (١٤٢٩ / ٤)

"بسنده عن عبدة بن أبي لبابة: «أَنَّ الدُّنْيَا سَبْعَةُ أَقَالِيمَ، فَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فِي سِتَّةِ أَقَالِيمَ، وَسَائِرُ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ وَاحِدٍ»". اهـ

- وقال حرب بن إسماعيل الكرماني في عقيدته التي نقل فيها الأصول التي أجمع عليها أهل السنة [السنة لحرب ٤٩]:

"هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم:

ثم ذكر أصول السنة ومنها:

وخلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش، والكرسي موضع قدميه." اهـ

لاحظ كيف ذكر حرب بن إسماعيل رحمه الله هذه المسألة العظيمة في العقيدة وأصول السنة التي يعدّ المخالف فيها مبتدعاً ضالاً خارجاً عن السنة زائلاً عن منهج أهل الحق، ولاحظ توصيفه للأرض وكيف يتعين به كونها سطيحة لا كرة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي

الْأَرْضِ وَهَاتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ﴾ الكهف: ٨٣ - ٨٤

- وفي جزء من حديث ابن شاهين (ص: ٤٠)

عَنْ حَبِيبِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ بَلَغَ ذُو الْقُرْنَيْنِ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: «سُحَّرَ لَهُ السَّحَابُ، وَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ، وَبُسِطَ لَهُ النُّورُ»

فصل: في ذكر جبل قاف المحيط بالأرض:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ١﴾ ﴿ق: ١﴾

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٢٧):

"عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {ق} [ق: ١] قَالَ: «جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ»". اهـ

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٠٩)

"وقاف جبل من زمردة خضراء محيط بالعالم، فخضرة السماء منه ليس من الخلق شيء على خلقه «وتنت» الجبال منه، وهو وراء الجبال وعروق الجبال كلها من قاف، فإذا أراد الله - تعالى - زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذي عنده أن يحرك عرقا من الجبل، فتتحرك الأرض التي يريد وهو أول جبل خلق". اهـ

• وفي تفسير التستري (ص: ١٥١)

"قوله تعالى: ق، أقسم الله تعالى بقوته وقدرته، وظاهرها الجبل المحيط بالدنيا، وهو أول جبل خلقه الله تعالى، ثم بعده جبل أبي قبيس". اهـ

• وفي تفسير البغوي (٤/ ٢٧٠)

"قَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: هُوَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ مِنْ زُمْرَدَةٍ خَضِرَاءَ، مِنْهُ خُضْرَةُ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءُ مَقْبِيَّةٌ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ كَنَفَاهَا". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ٣٢﴾ ﴿ص: ٣٢﴾

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤١)

"قوله تعالى: حتى توارت بالحجاب: عن كعب رضي الله عنه في قوله: حتى توارت بالحجاب قال: حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق، فمنه اخضرت السماء التي يقال لها، السماء الخضراء، واخضر البحر من السماء، فمن ثم يقال: البحر الأخضر". اهـ

• وفي تفسير الطبري (٢٠ / ٨٥)

"حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلَمَةُ، قَالَ: ثنا مِيكَائِيلُ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص: ٣٢] قَالَ: «تَوَارَتْ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ يَاقُوتَةٍ خَضِرَاءَ، فَخَضِرَةُ السَّمَاءِ مِنْهَا» . اهـ

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٣ / ٦٤٤)

"حتى توارت بالحجاب، والحجاب جبل دون ق بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه" . اهـ

فصل: في ثبات الأرض وعدم دورانها وعدم تحركها إلا بعارض يعرض كالزلازل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]

• جاء في تفسير الطبري (١٩ / ٣٩٠)

"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} لِئَلَّا تَزُولَا مِنْ أَمَاكِنِهِنَّ {وَلَئِنْ زَالَتَا} [فاطر: ٤١] يَقُولُ: وَلَوْ زَالَتَا {إِنْ} [ص: ٣٩١] أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ {فاطر: ٤١} يَقُولُ: مَا أَمْسَكَهُمَا أَحَدٌ سِوَاهُ.

ثم قال: وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ثم روى بسنده: عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} «مِنْ مَكَانِهِمَا». ثم قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ذَهَبَ جُنْدُبُ الْبَجَلِيُّ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ (أَيُّ ابْنِ مَسْعُودٍ): حَدَّثْنَا مَا حَدَّثَكَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَنَّ السَّمَاءَ فِي قُطْبٍ كَقُطْبِ الرَّحَا، وَالْقُطْبُ عَمُودٌ عَلَى مَنْكِبِ مَلِكٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "لَوَدِدْتُ أَنَّكَ

اِفْتَدَيْتَ رَحْلَتِكَ بِمِثْلِ رَاحِلَتِكَ؛ ثُمَّ قَالَ: مَا تَنْتَكِتُ الْيَهُودِيَّةُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فَكَادَتْ أَنْ تُفَارِقَهُ،
ثُمَّ قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} **كَفَى بِهَا زَوْالًا أَنْ تَدُورَ** ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ **الملك: ١٦**

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٣٩١):

"أَمِنْتُمْ عَقُوبَةَ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَعْنِي الرَّبَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - نَفْسَهُ لِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ الْعَلِيِّ أَنْ يَخْسِفَ
بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ يَعْنِي فَإِذَا هِيَ تَدُورُ بِكُمْ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى، مِثْلُ قَوْلِهِ: {يَوْمَ تَمُورُ
السَّمَاءُ مَوْرًا} ". اهـ

• وفي غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٧٥)

"{فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} أي تدور، كما يَمُورُ السحاب: إذا دار وجاء وذهب ". اهـ
فدَلَّ هذا على عدم دورانها، وذلك أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ وَعِيدَهُ الشَّهِيدَ وَتَخْوِيفَهُ لِعِبَادِهِ بِخَسْفِ
الْأَرْضِ وَدَوْرَانِهَا، وَلَوْ كَانَتْ تَدُورُ لَمَا صَحَّ هَذَا الْوَعِيدُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ **الطور: ٤**

• جاء في تفسير الطبري (٢١ / ٥٦٥)

"عَنْ قَتَادَةَ، {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} [الطور: ٤] ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا
لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ
تَحْتَهُ الْكَعْبَةُ لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْهَا» ". اهـ

فتأمل هذا، فلو كانت تدور لما صحَّ أن يخرَّ على الكعبة.

- وجاء في الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (ص: ٣٠٩):

"وَأَجْمَعُوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون بِعَارِضٍ يعرض لها من زَلْزَلَةٍ وَنَحْوِهَا، خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوي أبداً وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَوَجَبَ ألا يلحق الحُجَر الذي نلقيه من أيدينا الأرض أبداً لِأَن الحُفِيف لَا يلحق مَا هُوَ أَثْقَل مِنْهُ في انحداره وَأَجْمَعُوا على أَنَّ الأرض متناهية الأَطْرَاف من الجِهَات كلها وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ متناهية الأقطار من الجِهَات السَّتْ خلاف قول من زعم من الدهرية أنه لَا نِهَآيَةَ للأرض من أسفل وَلَا عَن اليمِين واليسار وَلَا من خلف وَلَا من أمام وإنما نهايتها من الجِهَةِ الَّتِي تَلَاقَى الهَوَاءُ من فَوْقِهَا، وَزَعَمُوا أَنَّ السَّمَاءَ أيضاً متناهية من تحتها وَلَا نِهَآيَةَ لها من خمس جِهَات سوى جِهَةِ السفَل، وَبَطَلَان قَوْلَهُمْ ظَاهِر من جِهَةِ عود الشَّمْسِ الى مشرقها كل يَوْم وقطعها جرم السَّمَاء وَمَا فَوْق الأرض في يَوْم وَلَيْلَةٍ وَلَا يَصِح قطع مَا لَا نِهَآيَةَ لها من المسافة في الأمكنة في زَمَان متناه، وَأَجْمَعُوا على أَنَّ السَّمَاوَات سبع سماوات طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أنها تسع، وأجمعوا أنها ليست بكرية تدور حول الأرض خلاف قول من زعم أنها كرات بَعْضُهَا في جَوْف بَعْض وَأَنَّ الأرض في وَسْطِهَا كمرکز الكرة في جوفها وَمَنْ قَالَ بِهَذَا لم يُثَبِت فَوْق السَّمَاوَات عرشاً وَلَا مَلَائِكَةً وَلَا شَيْئاً مِمَّا يُثَبِتُهُ الموجودون فَوْق السَّمَاوَات". اهـ

فصل: في الزلازل:

- جاء في السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٧٠)

"بسنده عن عكرمة، قال: «إن الله عز وجل إذا أراد أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض، فعند ذلك تزلزل، وإذا أراد أن تدمدم على قوم تجلى لها». اهـ

- وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٠٩)

"وقاف جبل من زمردة خضراء محيط بالعالم، فخضرة السماء منه ليس من الخلق شيء على خلقه «وتنبت» الجبال منه، وهو وراء الجبال وعروق الجبال كلها من قاف، فإذا أراد الله-

تعالى - زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذي عنده أن يحرك عرقا من الجبل، فتتحرك الأرض التي يريد وهو أول جبل خلق". اهـ

• وفي العقوبات لابن أبي الدنيا (ص: ٣١)

"عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: «إِنَّمَا تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ، فَلَعَلَّ الْحُوتَ إِنْ تَحَرَّكَ، أَوْ تُعْمَلَ عَلَيْهَا الْمُعَاصِي، فَتَرْعَدَ فَرَقًا مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى إِذْ يَطْلُعُ عَلَيْهَا»". اهـ

فصل: في كون جهنم في الأرض السابعة السفلى:

• جاء في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي (ص: ٦٢)

"الباب الخامس [في ذكر مكان جهنم]: روى عطية عن ابن عباس، قال: الجنة في السماء السابعة، ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة، أخرج أبو نعيم.

وأخرج ابن منده، من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سموات، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبع أبحر مطبقة.

وروى البيهقي بإسناده، وفيه ضعف، عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود، قال: الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى، ثم قرأ {إن كتاب الأبرار لفي عليين}. {إن كتاب الفجار لفي سجين}.

وأخرج ابن منده، وعنده فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء.

وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله ابن سلام، قال: إن الجنة في السماء، وإن النار في الأرض، أخرج ابن خزيمة وابن أبي الدنيا.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قتادة، قال: كانوا يقولون: إن الجنة في السموات السبع، وإن جهنم لفي الأرضين السبع.

وروى ورقاء، عن أبي نجیح، عن مجاهد {وفي السماء رزقكم وما توعدون} قال: الجنة في السماء.

وقد استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يُعرضون على النار غدواً وعشياً - يعني في مدة البرزخ - وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل أن النار في الأرض، وقال تعالى: {كلا إن كتاب الفجار لفي سجين}.

وفي حديث البراء بن عازب، «عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في صفة قبض الروح، قال في روح الكافر: حتى ينتهوا بها السماء فيستفتحون فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}» قال: يقول قال تعالى: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى قال: فتطرح روحه طرحاً، خرّجه الإمام أحمد وغيره.

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في صفة قبض الروح، وقال في روح الكافر: فتخرج كأنتن ريح جيفة، فينطلقون به إلى باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! كلما أتوا على أرض قالوا ذلك، حتى يأتوا به إلى أرواح الكفار» خرّجه ابن حبان والحاكم وغيرهما.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أرواح الكفار في الأرض السابعة". انتهى كلام ابن رجب وقد نقلته بطوله لأهميته.

• وقال البرهاري في شرح السنة (ص: ٤٨):

"والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى". اهـ

فصل في خلق الله تعالى للأرض في أربعة أيام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ فصلت: ٩ - ١٠

• جاء في تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٤٦ / ٤)

يَعْنِي: خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَقْوَاتَهَا فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ جَمَعَ الْأَرْبَعَةَ الْأَيَّامَ فَقَالَ: {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلنَّاسِ لَيْنٌ}. اهـ

• وفي تفسير السمعاني (٣٥٤ / ١)

قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}، ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} وَلَمْ يَرِدْ بِهِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ سِوَى ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْكُلِّ كَانَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لَا فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، بَلْ أَرَادَ بِهِ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مَعَ ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ كَذَا هَذَا. اهـ

• قال البخاري في الصحيح (١٢٨ / ٦):

وَقَوْلُهُ: {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ٩]. فَجَعَلَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. اهـ

فصل في الحوت الذي كُتِبَتْ الأرض على ظهره:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾ الْقَلَمُ: ١

• جاء في الإبانة الكبرى لابن بطة (٣٣٧ / ٣)

"بسنده عن ابن عباس أفي قوله عز وجل {ن والقلم وما يسطرون} [القلم: ١] قال: خلق الله القلم وقال: اجر كما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم كبس الأرض على الحوت". اهـ

• وفي الشريعة للأجري (٧٦٩ / ٢)

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ الثُّنُونَ، وَكَبَسَ عَلَى ظَهْرِهِ الْأَرْضَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}". اهـ

تنبيه: تأمل هنا كيف أورد ابن بطة والأجري هذا الأثر في كتب العقيدة.

• وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٥٤٠ / ٢)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ فَقَالَ: الْقَدَرُ، فَجَرَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِهَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ فَارْتَفَعَ بُخَارُ الْمَاءِ فَفُتِقَتْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ، ثُمَّ خَلَقَ النَّوْنُ فَبَسَطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِ، وَالْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النَّوْنِ فَاضْطَرَبَ النَّوْنُ فَمَادَتِ الْأَرْضُ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّ الْجِبَالَ تَفْخَرُ عَلَى الْأَرْضِ قَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ». قَالَ الذَّهَبِيُّ:
على شرط البخاري ومسلم

• وفي تفسير الطبري (١٤٢ / ٢٣)

"بسنده عن مجاهد، قال: كَانَ يُقَالُ النَّوْنُ: الْحُوتُ الَّذِي تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ". اهـ

• وفي تفسير الطبري (٤٦٢ / ١)

بسنده عن السُّدِّيِّ، فِي خَيْرِ ذِكْرِهِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا، فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ فَسَمَّا عَلَيْهِ، فَسَمَاهُ سَمَاءً، ثُمَّ أَيْسَسَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَ سَبْعَ أَرْضِينَ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ عَلَى حُوتٍ، وَالْحُوتُ هُوَ النَّوْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: {ن وَالْقَلَمِ} [القلم: ١] وَالْحُوتُ فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ عَلَى ظَهْرِ صَفَاةٍ، وَالصَّفَاةُ عَلَى ظَهْرِ مَلِكٍ، وَالْمَلِكُ عَلَى صَخْرَةٍ، وَالصَّخْرَةُ فِي الرِّيحِ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ لُقْمَانُ، لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ. فَتَحَرَّكَ الْحُوتُ فَاضْطَرَبَ، فَتَزَلَّزَتِ الْأَرْضُ، فَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ فَفَقَرَتْ، فَالْجِبَالُ تَفْخَرُ عَلَى الْأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل: ١٥] وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا وَأَقْوَاتَ أَهْلِهَا وَشَجَرَهَا وَمَا يَنْبَغِي لَهَا فِي يَوْمَيْنِ فِي الثَّلَاثَاءِ وَالْأَرْبَعَاءِ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ} بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا}

[فصلت: ١٠] يَقُولُ: أَنْبَتَ شَجَرَهَا {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت: ١٠] يَقُولُ أَقْوَاتَهَا لِأَهْلِهَا {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ} [فصلت: ١٠] يَقُولُ: قُلْ لِمَنْ يَسْأَلُكَ هَكَذَا الْأَمْرُ {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت: ١١] وَكَانَ ذَلِكَ الدُّخَانُ مِنْ تَنْفُسِ الْمَاءِ حِينَ تَنْفَسُ، فَجَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْحَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ {وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت: ١٢] قَالَ: خَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا، مِنَ الْبَحَارِ وَجِبَالِ الْبَرِّ وَمَا لَا يُعْلَمُ. ثُمَّ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ، فَجَعَلَهَا زِينَةً وَحِفْظًا تَحْفَظُ مِنَ الشَّيَاطِينِ. فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} يَقُولُ: {كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} [الأنبياء: ٣٠] ". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (١ / ٧٤)

"بسنده عن السُّدِّيِّ قَوْلُهُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ فَسَمَّا عَلَيْهِ، فَسَمَاءُ سَمَاءٍ، ثُمَّ أَيْسَرَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَ سَبْعَ أَرْضَيْنِ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْأَحَدِ وَالْاِثْنَيْنِ، فَخَلَقَ الْأَرْضَ عَلَى حُوتٍ، وَالْحُوتُ هُوَ التُّنُّوُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ يَقُولُ: ن. والقلم والحوت في الماء، والماء على صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على الصخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان، ليست في السماء، ولا في الأرض، فتحرك الحوت فاضطرب فترزلت الأرض، فأرسي عليها الجبال فقرت بالجبال، فالجبال تفخر على الأرض، فذلك قوله: وجعل فيها رواسي أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين وتجمعون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها- يقول أنبت شجرها- وقدر فيها أقواتها- يقول أقواتها لأهلها- في أربعة أيام سواء للسائلين- يقول من سأل فهو كذا الأمر". اهـ

فصل: في جواب شبهة متعلقة بما سبق

ذكر ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٥ / ١٩٥) أنّ الذي عليه علماء المسلمين هو أنّ السماء على مثال الكرة، والأرض كذلك مثل الكرة، ونقل ذلك عن أبي جعفر بن المنادي وحكى عليه الإجماع، وهذا وهم منه لحجج عديدة:

لأنّ هذا الإجماع الموهوم ليس له مستند من النصوص بل هو معارض للنصوص السابقة المستفيضة.

ولأنّ هذا الإجماع الموهوم معارض بإجماع محكي على خلافه مستند للكتاب والسنة والآثار كما سبق بيانه، كالإجماع الذي حكاه القحطاني وحرب الكرمانى و أبو القاسم مسلمة بن القاسم القرطبي وغيرهم كثيرون.

ولأنّ الذي وردت به الأدلة أنّ السماء كالقبة وليست كالكرة وسيأتي تفصيل ذلك في الباب اللاحق.

ولأنّ عبارة ابن المنادي التي نقلها عنه ابن تيمية بعيدة عن عبارة السلف قريبة جدا من عبارة الفلاسفة، وهي في غاية التهافت لا تقوى البتة على دفع بعض ما ذكر من البراهين فضلا عن كلّها

والحاصل أنّ ما ذكره ابن تيمية هنا عن ابن المنادي مدفوع بأدلة مستفيضة متظافرة يصدق بعضها بعضها وكلّها تبطل كلامه، بل لا يُعرف عن الصحابة كلّهم حرفٌ واحد يُخالف الأصل الذي قرّناه.

ولاحظ أنّ تصوّر الشرعي للأرض ليس مجرد وصف لها بالسطوح بل هو مؤكّد بتفاصيل طولها وعرضها وعدد الأرضين وكون بعضها فوق بعض والمسافة التي بينها، ووصف النون الذي تحتها، وذكر النار التي في الأرض السابعة، وهي تفاصيل ثابتة عن الصحابة لم يختلفوا فيها، فكيف يصح إجماعٌ على خلاف إجماع الصحابة، بل وكلّ واحد من هذه التفاصيل يكفي لدفع هذا الإجماع الموهوم.

ولا يكون أحد من أهل العلم دليلاً بذاته بل كل عالم يُحتج لقوله بالكتاب والسنة والآثار، فلا يكون عالمٌ حَكَمًا على ما أجمع عليه السلف كائناً من كان.

ويبقى أن إثبات هذا التصوّر الذي ذكره ابن المنادي مفتقر لردّ كلّ جزئية من التصوّر الشرعي المذكور سابقاً وردّ جميع ما ورد عليه من أدلّة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، وهذا ممتنع. وهذا النقل لم يُذكر له سند ولا ذكر أين قال ابن المنادي ذلك.

واعلم أن ابن المنادي في كتابه "الملاحم": قد صرّح بتوصيف الخلق وصفا دقيقا في آثار كثيرة نقلها بعدما قدّم في مقدّمة كتابه بكونه لا ينقل إلا ما يرضاه من الأخبار، وكلّ ما نقله يوافق التوصيف الشرعي للخلق والأرض وتسطيحها كما في ص (٣٣) من كتابه الملاحم:

نقل عن علي في قراءته الكتاب الذي دفعه إليه النبي ﷺ:

"ثم خلق بعد ذلك الكرسي عرشه على الماء، والملائكة يسبحون بحمده، ويرعدون من خيفته، فعند ذلك أمر البحرين فاصطككا: بحر كذا، وبحر لجي، فلم يزل اصطكاكهما حتى خرج من بينهما زبد، فلم يزل بذلك حتى خرج من ذلك الزبد نارا، فأوحى الله عزّ وجل عند ذلك إلى النّار، فأحرقت الزبد، فصيرّه أرضا، وارتفع من تلك النار دخان، فسماها سماء، فكان مقدار خلقهنّ ستة أيام، فقال لهما اثتيا طوعا أو كرها، قالتا أتينا طائعين، فقضاهنّ عند ذلك سبع سماوات وسبع أرضين"

وفي (ص ٣٣٣): نقل تحت باب: سياق حديث طلوع الشمس معجلا لطلوعها من المغرب: حديثا طويلا يرويه حذيفة وغيره عن النبي ﷺ وفيه:

"ويأذن الله للسماوات فيمسكن كما كنّ، ويأذن الله للأرضين فيستطحن كما كنّ". اهـ

فيبعد جدّا أن يكون ابن المنادي قد قال بكروية الأرض وهو في كتابه الملاحم يحشد الآثار التي تدل على تسطحها.

والذي يظهر أن القول بكروية الأرض متوهم عن أبي جعفر بن المنادي ولا يصحّ عنه. فكلّامه الثابت عنه في كتاب الملاحم ينقض هذا الزعم ويبطله، كما أنّه يبعد جدّا أن يخالف ابن المنادي إجماع الصحابة والأدلة القاطعة على سطحية الأرض.

الباب الثاني: السماء

خلق الله عز وجل السماوات، وهي فوقنا سبع سماوات شديدة سميكه، وبين الأرض والسماء الدنيا التي فوقنا مسيرة خمس مائة سنة، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمس مائة سنة، ورفعها الله فوق الأرض كالقبة بأعمدة لا نراها، والله تعالى برحمته يمسكها كي لا تقع على الأرض. وللسماء أبواب يفتحها الله تعالى لنزول المطر ولرفع العمل الصالح وغير ذلك. وقد خلق الله عز وجل السماوات السبع في يومين بعد خلق الأرض في أربعة أيام، فكان مدة خلقه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام. وخلق الله السماوات السبع والأرضين السبع متلاصقة، ثم فتق سبع سماوات بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض. والجنة في السماء السابعة، وفوق السماء السابعة عرش الرحمن على الماء، والله جل وعلا على العرش. والسماوات ثابتة كالأرض لا تدور ولا تتحرك.

فصل في عدد السماوات وسمكها وشدتها وصلابتها والمسافة التي بينها وكونها رُفعت فوق الأرض كالقبة بأعمدة لا نراها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢)

• جاء في تفسير الطبري (٢٣ / ٧٨)

"بسنده عن عبد الله (أي ابن مسعود)، قال: خلق الله سبع سموات غلظ كل واحدة مسيرة خمس مائة عام، وبين كل واحدة منهن خمس مائة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جل

ثَنَّاوُهُ فَوْقَ الْمَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ. وَالْأَرْضُ سَبْعٌ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَغِلْظُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ". اهـ

• وفي تفسير الطبري (٢٣ / ٨٠)

"بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضَيْنِ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مِنْ سَمَائِهِ، وَأَرْضٍ مِنْ أَرْضِهِ، خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَضَاءٌ مِنْ قَضَائِهِ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩)

• جاء في تفسير الطبري (١ / ٤٦٣)

"بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ: " فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: ٢٩] قَالَ: خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ، فَلَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ ثَارَ مِنْهَا دُخَانٌ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} قَالَ: بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، وَسَبْعَ أَرْضَيْنِ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ". اهـ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢ / ٤٩٢)

"حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، ثنا الليث، حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن عمر مولى غفرة، أن كعباً، ذكر علو الجبار فقال: إن الله تعالى جعل ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وكثف السماء مثل ذلك، وما بين كل سمائين مثل ذلك، وكثفها مثل ذلك، ثم خلق سبع أرضين، فجعل ما بين كل أرضين، ما بين سماء الدنيا والأرض، وكثف كل أرض مثل ذلك، وكان العرش على الماء، فرفع الماء حتى جعل عليه العرش، ثم ذهب بالماء حتى جعله تحت الأرض السابعة، فما بين أعلى الماء الذي على السماء إلى أسفله كما بين أسفله". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ الملك: ٣

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٣٨٩ / ٤)

ثم أخبر عن خلقه ليعرف بتوحيده فقال: الذي خلق سبع سماوات في يومين طباقا بعضها فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة سنة وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة سنة. اهـ

• وفي تفسير الطبري (١١٩ / ٢٣)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مُحِبًّا عَنْ صِفَتِهِ {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا} طَبَقًا فَوْقَ طَبَقٍ، بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ النبا: ١٢

• جاء في تفسير الطبري (١٠ / ٢٤)

وَقَالَ: {سَبْعًا شِدَادًا} [النبأ: ١٢] إِذْ كَانَتْ وَثَاقًا مُحْكَمَةً الْخَلْقِ، لَا صُدُوعَ فِيهِنَّ وَلَا فُطُورَ، وَلَا يُبْلِيهِنَّ مَرَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ. اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾﴾ النازعات: ٢٨

• في تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧٨ / ٤):

"رفع سمكها يعني طولها مسيرة خمسمائة عام فسواها ليس فيها خلل". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الرعد: ٢

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٢٧)

"عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} قَالَا: «رَفَعَهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا يَقُولُ: «لَهَا» عَمَدٌ وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهَا". اهـ

• وفي تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٩)

"بِسْنَدِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد: ٢] قَالَ: «بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا» وروى أيضا عن عَنْ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فِي قَوْلِهِ: {رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} قَالَ: «السَّمَاءُ مُقَبَّيَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْقُبَّةِ». اهـ

• وجاء في تفسير يحيى بن سلام (١/ ٣١٠)

"عَنْ عَوْفِ الْبِكَالِيِّ قَالَ: إِنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ مِثْلَ الْقُبَّةِ". اهـ

• وجاء في تفسير الطبري (١/ ٣٨٩)

"حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السُّدِّيِّ، فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مَرْثَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [البقرة: ٢٢]، فَبِنَاءُ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الْقُبَّةِ، وَهِيَ سَقْفٌ عَلَى الْأَرْضِ". اهـ

• وجاء تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦١)

"حدثنا أبي، ثنا محمد بن بشار، ثنا وهب بن جرير ثنا أبي قال: سمعت محمد ابن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه عن جده: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ويحك! أتدري ما الله؟ إن الله على عرشه وعرشه على سماواته وسماواته، على أرضه هكذا. وقال بإصبعه مثل القبة". اهـ

فانظر كيف أن السماء تكون فوق الأرض كالقبة، ولو كانت الأرض كرة كما يزعم المنجمون لما صحَّ أن يكون ذلك.

وليست السماء كالكرة كما زعمه ابن تيمية نقلا عن ابن المنادي.

فصل في كون الرب جلّ وعلا برحمته يمنع السماء من أن تقع على الأرض:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦٥)
الحج: ٦٥

• جاء في تفسير الطبري (١٦ / ٦٢٤)

{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ} [الحج: ٦٥] يَقُولُ: وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ بِقُدْرَتِهِ كَيْ لَا تَقَعَ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ. اهـ

• وأخرج للطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٥٨):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيًّا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوبَكَ فَقُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ
أَنْ تَقَعْنَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فَلَانٍ وَجُنُودِهِ، وَأَتْبَاعِهِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، إِلَهِي
كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وهذا يؤكد حقيقة الخلق وصفة السماوات والأرض المذكورة في الكتاب والسنة والآثار.
وفي تصوير المنجمين للخلق ووصفهم لكروية الأرض لا معنى لكون الرب يمسك السماء
أن تقع على الأرض فتأمل ذلك.

فصل: في بيان ثبوت السماء وعدم دورانها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ
بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٤١) فاطر: ٤١

• جاء في تفسير الطبري (١٩ / ٣٩٠)

"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} لِئَلَّا تَزُولَا مِنْ أَمَاكِنِهِمَا {وَلَئِنْ زَالَتَا} [فاطر: ٤١] يَقُولُ: وَلَوْ زَالَتَا {إِنْ} [ص: ٣٩١] أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ {فاطر: ٤١} يَقُولُ: مَا أَمْسَكَهُمَا أَحَدٌ سِوَاهُ.

ثم قال: وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ثم روى بسنده: عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} {مِنْ مَكَانِهِمَا}.
ثم قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ذَهَبَ جُنْدُبُ الْبَجَلِيُّ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثْنَا مَا حَدَّثَكَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَنَّ السَّمَاءَ فِي قُطْبٍ كَقُطْبِ الرَّحَا، وَالْقُطْبُ عَمُودٌ عَلَى مَنْكِبِ مَلِكٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "لَوَدِدْتُ أَنَّكَ افْتَدَيْتَ رَحْلَتِكَ بِمِثْلِ رَاِحِلَتِكَ؛ ثُمَّ قَالَ: مَا تَنْتَكِيَتُ الْيَهُودِيَّةَ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فَكَادَتْ أَنْ تُفَارِقَهُ، ثُمَّ قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} كَفَى بِهَا زَوَالًا أَنْ تَدُورَ". اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ﴿٩﴾ الطور: ٩

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣ / ٢٤٤)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: ٩] قَالَ: «مَوْرًا تَحْرُكُهَا». اهـ

• وفي تفسير الطبري (٢١ / ٥٧٢)

بسنده عن ابن عباس، قَوْلُهُ: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: ٩] قَالَ: يَقُولُ: «تَحْرِيكًا»
وفيه: عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: ٩] قَالَ: «تَدُورُ السَّمَاءُ دَوْرًا»
وفيه عن الضَّحَّاك، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: ٩] يَعْنِي: «اسْتِدَارَتَهَا وَتَحْرِيكَهَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَمَوْجُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ» اهـ
فأخبر تعالى بتحركاتها يوم القيامة، ودل ذلك على سكونها قبله.

• ومَرَّ معنا كلام عبد القاهر بن طاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص: ٣٠٩):

"وَأَجْمَعُوا على أَنَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَباقٍ خِلافَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُنَجِّمِينَ أَنَّهَا تَسْعُ وَأَجْمَعُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِكَرِيَّةٍ تَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ خِلافَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا كُرَاتٌ بَعْضُهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ وَأَنَّ الْأَرْضَ فِي وَسْطِهَا كَمَرْكَزِ الْكُرَةِ فِي جَوْفِهَا وَمَنْ قَالَ بِهَذَا لَمْ يُثْبِتْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشًا وَلَا مَلَائِكَةً وَلَا شَيْئًا يُمْسِكُهَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ". اهـ

فصل: في أبواب السماء التي يفتحها الله عز وجل للغيث ولصعود روح المؤمن والعمل الصالح وما شاء سبحانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿الأعراف: ٤٠﴾

• جاء في تفسير الطبري (١٠ / ١٨٢)

بسندُه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} قَالَ: «عَنِهَا الْكُفَّارُ، أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِهِمْ وَتُفَتَّحُ لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ»

وبسندُه عَنِ السُّدِّيِّ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} قَالَ: "إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَخَذَ رُوحُهُ ضَرْبَتَهُ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ حَتَّى يَرْتَفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا بَلَغَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ضَرْبَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ فَهَبَطَ، فَضَرْبَتْهُ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ فَارْتَفَعَ، فَإِذَا بَلَغَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ضَرْبَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَهَبَطَ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ، وَإِذَا كَانَ مُؤْمِنًا أَخَذَ رُوحُهُ، وَفُتِحَ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِمَلَكٍ إِلَّا حَيَّاهُ وَسَلَّمَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ، فَيُعْطِيهِ حَاجَتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: رُدُّوا رُوحَ عَبْدِي فِيهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي قَضَيْتُ مِنَ التُّرَابِ خَلْقَهُ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ، وَمِنْهُ يُخْرَجُ"

وبسندُه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} «لَا يَصْعَدُ لَهُمْ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ».

وبسندُه عَنْ مُجَاهِدٍ: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} قَالَ: «لَا يَصْعَدُ لَهُمْ كَلَامٌ وَلَا عَمَلٌ». اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ﴿١١﴾ القمر: ١١

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٢٠ / ١٠)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بِالمَاءِ مِنْ غَيْرِ سَحَابٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَالْتَقَى الْمَاءَانِ. اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْرُهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ﴿١٠﴾ ص: ١٠

• جاء في تفسير عبد الرزاق (١١٠ / ٣)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ} قَالَ: «فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ». اهـ

• وفي صحيح البخاري (٢٥ / ٣)

أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»

• وفي صحيح مسلم (٤٢٠ / ١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَجِبْتُ هَذَا، فُتِحَتْ هَذَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ».

• وفي سنن الترمذي (٤٧٠ / ٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَا نُصْرَتَكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ".

• وفي مسند أحمد (٥٧٦ / ٣٠)

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَبْرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُهُ، فَقَالَ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" ثَلَاثَ مَرَارٍ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّهُ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ، صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ: أَنْ يُعْرِجَ بِرُوحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ... الحديث.

• وفي موطأ مالك (٩٥ / ٢)

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَاعَتَانِ تُفْتَحُ لِهَمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَقَلَّ دَاعٍ تُرَدُّ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُ: حَضْرَةُ النَّدَاءِ لِلصَّلَاةِ، وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فصل في خلق الله عز وجل للسموات في يومين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ فصلت: ١١ - ١٢

• جاء في تفسير الطبري (٢٠ / ٣٩٢)

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَفَرَعَ مِنْ خَلْقِهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ.

• وفي المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢ / ٤٨٩)

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ سُلَيْمَانَ الذُّهَلِيُّ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صُبَيْحٍ الشَّكْرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَمْ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ أَوَّلَ الْأَيَّامِ الْأَحَدَ، وَخُلِقَتِ الْأَرْضُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ، وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخُلِقَتِ الْجِبَالُ وَشُقَّتِ الْأَنْهَارُ، وَغُرِسَ فِي الْأَرْضِ الشَّجَرُ وَقُدِّرَ فِي كُلِّ أَرْضٍ قُوَّتُهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: ١١] فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ آخِرُ الْخَلْقِ فِي آخِرِ السَّاعَاتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَلْقٌ فَقَالَتِ الْيَهُودُ فِيهِ مَا قَالَتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَكْذِيبَهَا {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}.

ثم قال الحاكم «هَذَا حَدِيثٌ قَدْ أَرْسَلَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَتَبْنَاهُ مُتَّصِلًا مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

فصل في فتق الله للسموات والأرض بعد رتقها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الأنبياء: ٣٠

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٥١ / ٨)

عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا قَالَ: كَانَتَا جَمْعًا فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْهَوَاءِ. اهـ

• وفي تفسير الطبري (٢٥٥ / ١٦)

بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: {أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا} فَفَتَقْنَاهُمَا الْآيَةَ، يَقُولُ: كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ، فَرَفَعَ السَّمَاءَ أَوْ وَضَعَ الْأَرْضَ.

وبسنده عن الضَّحَّاك، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَتَا مُلْتَزِمَتَيْنِ، فَفَتَقَهُمَا اللَّهُ.

وبسنده أنه كَانَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ يَقُولَانِ: كَانَتَا جَمِيعًا، فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْهَوَاءِ. اهـ

• وجاء في تفسير عبد الرزاق (٣٨٤ / ٢)

بِسَنَدِهِ عَنِ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} قَالَ: «فَتَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ». اهـ

ففتق الرب جلّ وعلا للسموات والأرضين بعد رتقهما معناه ما ذكر من فصلها عن بعضها بعد خلقها ملتزقة وليس معناه ما يذكره المنجمون مما يسمونه "الإنفجار العظيم".

وبعض المحرّفين للقرآن ممن ينتسبون للعلم كذبوا على الله وزعموا أَنَّ الْآيَةَ معناها "الإنفجار العظيم" الذي يذكره الفيزيائيون والمنجمون.

فصل: الجنة في السماء السابعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ النجم:

١٣ - ١٥

• جاء في صحيح البخاري (٥٣ / ٥)

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةٍ أُسْرِيَ بِهِ: - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ - وَفِيهِ:

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنَعِمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُتَهَى، فَإِذَا نَبْتُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُتَهَى. اهـ

• وفي تفسير عبد الرزاق (٢٥٠ / ٣)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَى} [النجم: ١٤] أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ مُتَهَايَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ نَبْتُهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجَرَ وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ قَالَ: قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَانِ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ فَالْنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ". اهـ

• وفي صحيح البخاري (١٦ / ٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ،

فَأَسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ
أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

• وفي صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (١ / ١٥٢)

بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، يَقُولُ: إِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
وَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ

وفيه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: " الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَيَجْعَلُهَا حَيْثُ شَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَجَهَنَّمَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وفيه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: " الْجَنَّةُ فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَعَلَهَا اللَّهُ
حَيْثُ شَاءَ، وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ. اهـ

• وفي تفسير ابن رجب الحنبلي [جمع طارق عوض الله] (١ / ٢٤٧)

وقد ثبت بالأدلة أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَنَّ النَّارَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ وقد ذكرنا ذلك
في كتاب: "صفة النار" مستوفى. اهـ

• وقال البرهاري في شرح السنة (ص: ٤٨):

"والإيمان بأن الجنة حق والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان، الجنة في السماء السابعة، وسقفها
العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى". اهـ

فصل: فوق السماء السابعة الماء، وفوق الماء العرش:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمُسْجُورُ﴾ (٦) الطور: ٦

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ٢٠٠٥)

عَنْ أَنَسٍ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ:

فَلَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَسَمَ ذَلِكَ الْمَاءَ قِسْمَيْنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ عَرْشُهُ فَجَعَلَ نِصْفًا تَحْتَ
الْعَرْشِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُسْجُورُ. اهـ

• وفي مسند أحمد (٢٩٢ / ٣)

عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُطْحَاءِ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَذَرُونَ مَا هَذَا؟ " قَالَ: قُلْنَا: السَّحَابُ، قَالَ: " وَالْمُزْنُ " قُلْنَا: وَالْمُزْنُ، قَالَ: " وَالْعَنَانُ "، قَالَ: فَسَكَّتْنَا، فَقَالَ: " هَلْ تَذَرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ " قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " بَالَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَأَظْلَافِهِنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ "

• وجاء في التوحيد لابن خزيمة (٢٤٢ / ١) وفي النقض لعثمان بن سعيد الدارمي:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى أُخْرَى مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ.

اهـ

• ومَرَّ معنا كلام حرب بن إسماعيل الكرماني في معتقده الذي حكى عليه الإجماع:

"وخلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسفلى الدنيا مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش، والكرسي موضع قدميه." اهـ

• وفي صحيح مسلم (٦٩١ / ٢)

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبِهِ، أَخِي وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْ اللَّهُ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ "

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ»
 قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَبِيدُهُ الْأُخْرَى الْقَبْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»

• وفي صحيح البخاري (١٦ / ٤)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

• وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٣٨ / ٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، (أَيِ ابْنِ مَسْعُودٍ) قَالَ: «مَا بَيْنَ سَمَاءِ الْقُصُوفِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»

فصل: الله تبارك وتعالى على العرش فوق سماواته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف: ٥٤

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الرعد: ٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ نَمُنُّمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ١٦ ﴿أَمْ أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ١٧ ﴿الملك: ١٦ - ١٧

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر: ١٠

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٥٨

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل: ٥٠

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَتْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى: ١

• في صحيح مسلم (١/ ٣٨١)

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أُحُدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقْتُهَا؟ قَالَ: «اتَّبِعِي بِهَا» فَاتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أُعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ».

• وفي التوحيد لابن خزيمة وسنن أبي داود:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ، أَتَذِيرِي مَا تَقُولُ؟» فَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحْكَ، أَتَذِيرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى سَمَواتِهِ، وَسَمَواتُهُ عَلَى أَرْضِهِ، هَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيُطِيطُ بِهِ مِثْلَ أَطِيطِ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ.

• وفي التوحيد لابن خزيمة وسنن الترمذي (٢٧٨ / ١)

أَنَّ قُرَيْشًا جَاءَتْ إِلَى الْحُصَيْنِ، وَكَانَتْ تُعَظَّمُهُ، فَقَالُوا لَهُ: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا وَيَسْبِّهُهُمْ، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ الْحُصَيْنُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ»، وَعِمْرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِدُونَ، فَقَالَ حُصَيْنٌ: مَا هَذَا الَّذِي يَبْلُغُنَا عَنْكَ، إِنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا وَتَذْكُرُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ جَفَنَةً وَخُبْرًا فَقَالَ: «يَا حُصَيْنُ، إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، يَا حُصَيْنُ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟» قَالَ: سَبْعَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَإِذَا أَصَابَكَ الضَّرُّ مَنْ تَدْعُو؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟" قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟»

• وفي صحيح مسلم (٨٩٠ / ٢)

من حديث جابر في حجة النبي ﷺ وفيه:

فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

• وفي صحيح البخاري (١٣ / ٦)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوِّفِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّدُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبَتْ أُعَوِّدُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»

• وجاء في السنة لعبد الله بن أحمد (١١):

أَنَّ الْإِمَامَ مَالِكَاً رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: "الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء."

• وفي اجتماع الجيوش الإسلامية ط عالم الفوائد (٣٤١ / ١)

"وقال الخلال في كتاب "السنة": أخبرنا أبو بكر المروزي حدثنا محمد بن الصباح النيسابوري حدثنا سليمان بن داود الخفاف قال: قال إسحاق بن راهويه: قال الله عز وجل: {الرَّحْمَنُ عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوَى} إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار، ورؤوس الجبال وبطون الأودية وفي كل موضع، كما يعلم ما في السموات السبع، وما دون العرش، أحاط بكل شيء علماً، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه، لا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره."

• وفي شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم (ص: ٣٤):

قال قتيبة بن سعيد في عقيدته التي حكى عليها الإجماع:
وَيَعْرِفُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}.

• وفي السنة لعبد الله بن أحمد (٢٢):

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا علي بن الحسن بن شقيق، قال: سألت عبد الله بن المبارك كيف ينبغي لنا أن نعرف، ربنا عز وجل؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض "

• وقال حرب الكرماني في عقيدته التي حكى عليها الإجماع [السنة لحرب ٥٠]:
"والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش، والكرسي موضع قدميه."

• وفي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ١٩٨) ذكر اعتقاد أبي حاتم وأبي

زرعة الرازيين الذين حكوا عليه الإجماع قالوا:

"أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ:

ثم ذكروا مسائل وقالوا:

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ."

• وقال الآجري في الشريعة (١٠٧٦ / ٣)

"وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ أَوْ عِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ أَقْدَأَ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا أَوْ بِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى"

• وقال ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة كتابه الرسالة:

"وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بَذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ."

واعلم رحمك الله أَنَّ الشكَّ في علوِّ الله على خلقه، أو الشكَّ في كونه فوق سماواته قد استوى على عرشه، كفر صراح، فمن نفى عن الله علوه أو شكَّ في ذلك كفر وفارق الملة ومرق عن الدين وصار في عداد المرتدين.

• جاء في معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ٨٤):

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَانِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ حُزَيْمَةَ يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يُقَرِّ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ قَدْ اسْتَوَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ بِرَبِّهِ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَأُلْقِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَزَابِلِ حَيْثُ لَا يَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُعَاهِدُونَ بَتْنِ رِيحٍ جَيْفَتِهِ، وَكَانَ مَالُهُ فَيْئًا لَا يَرِثُهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِذِ الْمُسْلِمُ لَا يَرِثُ الْكَافِرَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

• وقال الشيخ سليمان بن سحمان في تميز الصدق من المين في محاورة الرجلين (ص:

(١٣٨

"وَأَمَّا مَا يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ وَمَعْرِفَةُ عُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَإِثْبَاتُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنَعُوتِ جَلَالِهِ فَإِنْ هَذَا قَدْ وَضَحَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ فَلَا عِذْرَ لِأَحَدٍ فِي الْجَهْلِ بِذَلِكَ وَقَدْ فُطِرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى الْبَهَائِمِ"

- وقال أيضا في كشف الأوهام والإلتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس (ص:

(٧٣

"فَهَذَا كَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَيَمَنْ نَفَى صِفَةَ الْكَلَامِ فَكَيْفَ إِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ نَفَى عِلْوِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا مُتَّصِلًا بِهِ وَلَا مُنْفَصِلًا عَنْهُ وَلَا مُحَايِثَ لَهُ أَتَرَى أَنَّهُ يَشْكُ فِي كُفْرِهِ هَؤُلَاءِ أَوْ فِي كُفْرٍ مِنْ لَمْ يَكْفُرْهُمْ".

- وقال أيضا في كشف الأوهام والإلتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس (ص:

(١١٧):

"إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَمَسْأَلَةُ عِلْوِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ وَإِثْبَاتُ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنَعُوتُ جَلَالِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْجَلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَمِمَّا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَحَهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ فَمَنْ سَمِعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ وَالْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْهَا فَإِنْ كَانَ يَمْنَنُ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَلَا مَرَّ أَعْظَمَ وَأَطْمَ لَا سِيَّيَا إِنْ عَانَدَ وَزَعَمَ أَنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَبَيِّنْ ذَلِكَ بَيَّانًا شَافِيًا كَافِيًا فَهَذَا كُفْرُهُ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَلَا يَتَوَقَّفُ فِي كُفْرِهِ مِنْ عَرَفِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ وَقَوَاعِدِهِ"

الباب الثالث: ما بين السماوات والأرض

أولاً: الشمس:

الشمس خلق من مخلوقات الله، وسخرها الله لنا برحمته وجعلها سراجاً مضيئاً تضيئ ببقاها الأرض وتضيء بوجهها السماء.

وجعل الله الشمس تدور وتسبح وتجري مع القمر وسائر النجوم في فلك كفلك المغزل وكحديدة الرمح في هذه السماء الدنيا.

والشمس مخلوق أصغر من الأرض فهي تغيب في عين من عيونها، وتطلع بين قرني شيطان.

والشمس تسجد كل يوم تحت عرش الرحمن.

فصل: تسخير الشمس، وإضاءتها بوجهها السماء وبقفاها الأرض:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ﴾

إبراهيم: ٣٣

• جاء في تفسير الطبري (١٣ / ٦٨٢):

"{وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} [إبراهيم: ٣٣] يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمُ أَيُّهَا النَّاسُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِصِلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ {دَائِبَيْنِ} [إبراهيم: ٣٣] فِي اخْتِلَافِهِمَا عَلَيْكُمْ"

• وجاء في تفسير السمعاني (٣ / ١١٨):

"وَقَوْلُهُ: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} وَذَلِكَ لَكُمْ، وَتَسْخِيرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ هُوَ جَرِيَانُهُمَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فِيمَا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَاد."

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ يونس: ٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ نوح: ١٥ - ١٦

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٤٩)

عَنْ مَعْمَرٍ أَعْنِ قَتَادَةَ أَيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} [نوح: ١٦] أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجُوهَهُمَا قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَأَقْفِيَّتُهُمَا قَبْلَ الْأَرْضِ وَإِنَّا أَقْرَأُ بِذَلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح: ١٦]"

• وأخرج أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/ ١١٤١)

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجُوهُهُمَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَفَاهُمَا إِلَى الْأَرْضِ يُضِيئَانِ مَنْ فِي السَّمَاءِ، كَمَا يُضِيئَانِ مَنْ فِي الْأَرْضِ».

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٩١):

"أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن الحسن في قوله: {خلق سبع سماوات طباقا} قَالَ: بعضهن فوق بعض بين: كل أرض وسما خلق وأمر وفي قوله: {وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا} قَالَ: وجوههما في السماء وظهورهما إليكم"

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور أيضا (٤/ ٣٤٣):

"وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمر قَالَ: الشمس والقمر وجوههما إلى العرش وأقفيتهما إلى الأرض"

فصل: سباحة الشمس وجريانها في فلكها وهو مجرى خاص بها وبالقمر والنجوم والكواكب
كفلك المغزل وكحديدة الرحى في هذه السماء الدنيا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) الأنبياء: ٣٣

• جاء في تفسير الطبري (١٦ / ٢٦٤)
"بسند عن مجاهد قوله: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣] قَالَ: فَلَكٌ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةِ الرَّحَى.

وبسند قال ابن جريج: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} [الأنبياء: ٣٣] قَالَ: فَلَكٌ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةِ الرَّحَى
• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٤٥٢)
"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: كُلٌّ فِي فَلَكٍ قَالَ: فَلَكَةٌ كَفَلَكَةِ الْمَغْزَلِ يَسْبَحُونَ قَالَ: يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل"

• وفي تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣ / ١٤٦)
"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} أي: يجرون، تفسير الحسن: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي طَاحُونَةٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ فَلَكَةِ الْمَغْزَلِ تَدُورُ فِيهَا، وَلَوْ كَانَتْ مُلتَزِقَةً بِالسَّمَاءِ لَمْ تَجْرَ."

• وجاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٦٢٧)
"وَأَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} قَالَ: الْفَلَكُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَجَارِي النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ" اهـ
تنبیه: فلا تكون الشمس هي الثابتة والأرض تدور حولها وحول نفسها كما يزعمه المنجمون، ولا تكون كذلك الشمس سائرة في خط مستقيم والشمس تلتف بها حلزونيا كما زعموا، بل الأرض ثابتة والشمس تسبح في فلكها الدائري، وتغيب في عين حمئة كما سنراه بإذن الله.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الحجر: ١٦)

• جاء في تفسير الطبري (١٤ / ٣٠)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ كَوَاكِبٌ يَنْزِلُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} [الحجر: ١٦] يَقُولُ: وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ بِالكَوَاكِبِ لِمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَبْصَرَهَا.

• وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره (١ / ٥٨٠):

"وجعل الشمس والقمر حسبانا يقول جعلهما في مسيرهما كالحسبان في الفلك يقول لتعلموا عدد السنين والحساب وذلك أن الله قدر لهما منازلهما في السماء الدنيا"

• جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١ / ١٠٩)

"وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَشَدَّ بَيَاضَهَا وَالثَّانِيَةُ أَشَدَّ بَيَاضَهَا مِنْهَا ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ فَوْقَ السَّابِعَةِ الْمَاءَ وَجَعَلَ فَوْقَ الْمَاءِ الْعَرْشَ وَجَعَلَ فَوْقَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالرُّجُومُ"

فصل: مشارق الشمس ومغاربها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء: ٢٨)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ (الصافات: ٥)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج: ٤٠)

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣ / ٨٨)

"عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَرَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} قَالَ: الْمَشَارِقُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مَشْرِقًا وَالْمَغَارِبُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مَغْرِبًا فِي السَّنَةِ قَالَ: وَالْمُشْرِقَانِ: مَشْرِقَا الشِّتَاءِ وَمَشْرِقَا الصَّيْفِ وَالْمُغْرِبَانِ: "مَغْرِبَا الشِّتَاءِ وَمَغْرِبَا الصَّيْفِ وَالْمُشْرِقُ وَالْمُغْرِبُ: الْمَشْرِقُ وَالْمُغْرِبُ"

• وفي تفسير الطبري (١٩ / ٤٩٦)

"عَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: {رَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصفات: ٥] قَالَ: «الْمَشَارِقُ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ مَشْرِقٍ، وَالْمَغَارِبُ مِثْلُهَا، عَدَدُ أَيَّامِ السَّنَةِ»

• وفي تفسير الطبري (٢٣ / ٢٨٣)

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: {رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج: ٤٠] قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَطْلَعًا، تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ مَطْلَعٍ لَا تَعُودُ فِيهِ إِلَى قَابِلٍ، وَلَا تَطْلُعُ إِلَّا وَهِيَ كَارِهَةٌ."

• وفي صحيح مسلم (١ / ٤٢٧)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَمْسِكْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ»

• وفي صحيح مسلم أيضا (١ / ٥٦٧)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ»

• وفي صحيح مسلم أيضا (١ / ٥٧٠)

"عن عمرو بن عبسة السلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - في حديث طويل - : «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ،

فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحَيْثُ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾

الكهف: ٨٦

• جاء في مسند أحمد (٣٥ / ٣٦٣)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ بَرْدَعَةٌ أَوْ قَطِيفَةٌ، قَالَ: وَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ لِي: "يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغِيبُ هَذِهِ؟" قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ، تَنْطَلِقُ حَتَّى تُخَرَّ لِرَبِّهَا سَاجِدَةً تَحْتَ الْعَرْشِ، فَإِذَا حَانَ خُرُوجُهَا أَذِنَ اللَّهُ لَهَا فَتَخْرُجُ فَتَطْلُعُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَهَا مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ حَبَسَهَا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ مَسِيرِي بَعِيدٌ فَيَقُولُ لَهَا: اطْلُعِي مِنْ حَيْثُ غِيبَتْ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيَّاهُهَا"

• وفي سنن أبي داود (٤ / ٣٧)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، وَالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ»

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٦٠٠)

"في عين حمئة يعني حارة سوداء قال ابن عباس: إذا طلعت الشمس أشد حرا منها إذا غربت"

• وفي تفسير عبد الرزاق (٢ / ٣٤٤)

"عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَرَأَهَا: (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ (فِي عَيْنٍ حَمِيَّةٍ) [الكهف: ٨٦] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَارْسِلْ إِلَى كَعْبٍ فَاسْأَلْهُ فِيمَا تَغْرُبُ؟» فَارْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «تَغْرُبُ فِي ثَأْطٍ» يَعْنِي طِينَةً سَوْدَاءَ

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٧ / ٢٣٨٤)

"قوله: وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا: عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَالَ: مَدِينَةٌ لَهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ بَابٍ، لَوْلَا أَصْوَاتُ أَهْلِهَا لَسَمِعَ النَّاسُ دَوِي الشَّمْسِ حِينَ تَجِبُ."

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٤٥٢)

"وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: لَوْلَا لَغَطُ أَهْلِ الرُّومِ لَسَمِعَ النَّاسُ وَجِبَةَ الشَّمْسِ حِينَ تَقَعُ وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذَرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: لَوْلَا أَصْوَاتُ الصَّنَافِرِ لَسَمِعَ وَجِبَةَ الشَّمْسِ حِينَ تَقَعُ عِنْدَ غُرُوبِهَا"

فصل: سجود الشمس تحت العرش:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]

• جاء في صحيح البخاري (٤ / ١٠٨)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: ٣٨]"

• وفي صحيح مسلم (١ / ١٣٩)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨]؟ قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»

• وفي صحيح مسلم (١/ ١٣٨)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا: «أَتَذَرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ازْجِعي، ازْجِعي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ازْجِعي، ازْجِعي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ازْجِعي أَصْبِحي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَذَرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]"

• وفي تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٠)

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨] قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فَتَرُدُّهَا ذُنُوبُ بَنِي آدَمَ وَإِذَا غَرَبَتْ سَلَّمَتْ وَسَجَدَتْ وَاسْتَأْذَنْتْ فَيُؤْذَنُ لَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا غَرَبَتْ فَسَلَّمَتْ بِصَوْتٍ وَاسْتَأْذَنْتْ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا فَيَقُولُ: إِنَّ الْمُسِيرَ بَعِيدٌ وَإِنَّهُ إِنْ لَا يُؤْذَنُ لِي لَا أَبْلُغُ فَتُحْبَسُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُحْبَسَ ثُمَّ يُقَالَ لَهَا: "اطْلُعي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتَ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ الْقِيَامَةِ: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: ١٥٨]"

ثانيا: القمر:

خلق الله جلّ وعلا القمر وسخره لنا، وجعله منيرا جدا ولكنه سبحانه برحمته محاه فخفت نوره وكان أضعف من ضوء الشمس وذلك لنفّرق بين الليل والنّهار.

وهو ينير السماء بوجهه وينير الأرض بقفاه.

وقدره تعالى برحمته منازل فجعله يزيد وينقص لنفّرق بين الشهور ونعلم عدد السنين والحساب.

والقمر يسبح في فلكه في السماء الدنيا

فصل: في تسخير القمر للعباد وفي كون القمر منيرا وليس عاكسا لضوء الشمس كما يزعمه المنجمون:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ النحل: ١٢

• جاء في تفسير الطبري (١٤ / ١٨٤)

" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمِنْ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَعَ الَّتِي ذَكَرَهَا قَبْلُ أَنْ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ، هَذَا لِتَصْرُفَكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَهَذَا لِسَكْنِكُمْ فِيهِ {وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [الأنعام: ٩٦] لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ أَرْزَاقِكُمْ، وَشُهُورِكُمْ، وَسِنِينِكُمْ، وَصَلَاحِ مَعَاشِكُمْ."

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (١٢) الإسراء: ١٢

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤ / ٢)

"وجعلنا الليل والنهار آيتين يعني علامتين مضيئتين فكان ضوء القمر مثل ضوء الشمس، فلم يعرف الليل من النهار، يقول الله - تعالى: فمحونا آية الليل يعني علامة القمر فالمحو السواد الذي في وسط القمر، فمحي من القمر تسعة وستين جزءا فهو جزء واحد من سبعين جزءا من الشمس فعرف الليل من النهار وجعلنا آية يعني علامة النهار وهي الشمس مبصرة يعني أقرنا ضوءها"

• وفي تفسير الطبري (٥١٥ / ١٤)

"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، مُخَالَفَتِهِ بَيْنَ عَلَامَةِ اللَّيْلِ وَعَلَامَةِ النَّهَارِ، بِإِظْلَامِهِ عَلَامَةَ اللَّيْلِ، وَإِضَاءَتِهِ عَلَامَةَ النَّهَارِ، لِتَسْكُنُوا فِي هَذَا، وَتَتَصَرَّفُوا فِي ابْتِغَاءِ رِزْقِ اللَّهِ الَّذِي قَدَرَهُ لَكُمْ بِفَضْلِهِ فِي هَذَا، وَلِتَعْلَمُوا بِاخْتِلَافِهِمَا عَدَدَ السِّنِينَ وَانْقِضَاءَهَا، وَابْتِدَاءَ دُخُولِهَا، وَحِسَابَ سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهَا"

• وفيه:

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذِهِ اللَّطَخَةُ الَّتِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} [الإسراء: ١٢] فَهَذِهِ مَحْوُهُ

• وفيه:

"عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْقَمَرُ يُضِيءُ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ، وَالشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ: السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ"

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٠ / ٧)

"عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْآيَةِ قَالَ: كَانَتْ شَمْسٌ بِاللَّيْلِ وَشَمْسٌ بِالنَّهَارِ فَمَحَا اللَّهُ شَمْسَ اللَّيْلِ فَهُوَ الْمَحْوُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ."

فصل: في كون القمر ينير السماء بوجهه وينير الأرض بقفاه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَرْتَرُوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

الشَّمْسَ سِرَاجًا ۚ﴾ نوح: ١٥ - ١٦

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٤٩)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} [نوح: ١٦] أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجُوهَهُمَا قَبْلَ السَّمَوَاتِ وَأَقْفِيَّتُهُمَا قَبْلَ الْأَرْضِ أَوَّانَا أَقْرَأُ بِذَلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح: ١٦]"

• وأخرج أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/ ١١٤١)

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجُوهُهُمَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَفَاهُمَا إِلَى الْأَرْضِ يُضِيئَانِ مَنْ فِي السَّمَاءِ، كَمَا يُضِيئَانِ مَنْ فِي الْأَرْضِ».

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٩١):

"أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن الحسن في قوله: {خلق سبع سماوات طباقا} قَالَ: بعضهن فوق بعض بين: كل أرض وسما خلق وأمر وفي قوله: {وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا} قَالَ: وجوههما في السماء وظهورهما إليكم"

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور أيضا (٤/ ٣٤٣):

"وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمر قَالَ: الشمس والقمر وجوههما إلى العرش وأقفيتهما إلى الأرض"

• وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٩١)

"وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: {وجعل القمر فيهن نورا} قَالَ: إنه يضيء نور القمر فيهن كلهن كما لو كان سبع زجاجات أسفل منها شهاب أضاءت كلهن فكذلك نور القمر في السموات كلهن لصفائهن"

فصل: تقدير القمر منازل، وتقدير الأهلة لنعلم عدد السنين والحساب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس: ٥

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٢٦)

"هو الذي جعل الشمس ضياءً بالنهار لأهل الأرض يستضيئون بها والقمر نورا بالليل وقدره منازل يزيد وينقص"

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس: ٣٩

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧٩)

"والقمر قدرناه منازل في السماء يزيد، ثم يستوي، ثم ينقص في آخر الشهر حتى عاد كالعرجون حتى عاد مثل الخيط كما يكون أول ما استهل فيه «كالعرجون» يعني العذق اليابس المنحني القديم الذي أتى عليه الحول."

• وفي تفسير الطبري (١٩/ ٤٣٦)

"وَآيَةٌ لَهُمْ تَقْدِيرُنَا الْقَمَرَ مَنَازِلَ لِلنُّقْصَانِ بَعْدَ تَنَاهِيهِ وَتَمَامِهِ وَاسْتِوَائِهِ، حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ؛ وَالْعُرْجُونُ: مِنَ الْعِذْقِ مِنَ الْمَوْضِعِ النَّابِتِ فِي النَّخْلَةِ إِلَى مَوْضِعِ الشَّارِيخِ؛ وَإِنَّمَا شَبَّهَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ وَالْقَدِيمُ هُوَ الْيَابِسُ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعِذْقِ، لَا يَكَادُ يُوجَدُ إِلَّا مُتَقَوِّسًا مُنْحِنِيًّا إِذَا قَدِمَ وَيَبَسَ، وَلَا يَكَادُ أَنْ يُصَابَ مُسْتَوِيًّا مُعْتَدِلًا، كَأَغْصَانِ سَائِرِ الْأَشْجَارِ وَفُرُوعِهَا، فَكَذَلِكَ الْقَمَرُ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ قَبْلَ اسْتِسْرَارِهِ، صَارَ فِي انْحِنَائِهِ وَتَقَوُّسِهِ نَظِيرَ ذَلِكَ الْعُرْجُونِ."

فصل: سباحة القمر ودورانه في فلكه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) الأنبياء:

٣٣

• جاء في تفسير الطبري (١٦ / ٢٦٤)

"بسند عَن مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣] قَالَ: فَلَكٌ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةٍ الرَّحَى.

وبسند عَن ابْنِ جُرَيْجٍ: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ} [الأنبياء: ٣٣] قَالَ: فَلَكٌ كَهَيْئَةِ حَدِيدَةِ الرَّحَى

• وفي تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٤٥٢)

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: كُلٌّ فِي فَلَكٍ قَالَ: فَلَكَ كَفَلَكَ الْمَغْزَلُ يَسْبَحُونَ قَالَ: يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل"

• وفي تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣ / ١٤٦)

"{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} أي: يجرون، تفسير الحسن: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي طَاحُونَةٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ فَلَكَ الْمَغْزَلِ تَدُورُ فِيهَا، وَلَوْ كَانَتْ مُلتَزِقَةً بِالسَّمَاءِ لَمْ تَجْرَ."

• وجاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥ / ٦٢٧)

"وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: {كل في فلك} قَالَ: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر"

ثالثا: الخسوف والكسوف:

خسوف الشمس والقمر وكسوفهما، هو ذهاب ضوءهما خوفا من الله تعالى وخشوعا له سبحانه ذلك إذا تجلّى ربّ العالمين للشمس أو للقمر، وهو آية من آيات الله يخوّف الله بها عباده، وليس سببه تغطية القمر للشمس ولا توسط الأرض بين الشمس والقمر كما يقولوه الفلكيون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)

• جاء في تفسير الطبري (١٤ / ٦٣٨)

"حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩] وَإِنَّ اللَّهَ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنْ آيَةٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ، أَوْ يَذْكُرُونَ، أَوْ يَرْجِعُونَ"

• في الصحيحين:

عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا»

• سنن النسائي (٣ / ١٤٤)

عَنْ قَبِيصَةَ الْهَلَالِيّ، أَنَّ الشَّمْسَ انْخَسَفَتْ، فَصَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتْ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُمَا خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْدِثُ فِي خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَجَلَّى لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ يَخْشَعُ لَهُ، فَأَيُّهُمَا حَدَّثَ فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ أَوْ يُحْدِثَ اللَّهُ أَمْرًا»

• وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٣ / ١٠٥)

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا تَجَلَّى لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ خَضَعَ لَهُ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ﴾ القيامة: ٧ - ٨

• في تفسير عبد الرزاق (٣ / ٣٦٧)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَخَسَفَ الْقَمَرُ} [القيامة: ٨] قَالَ: "هُوَ ضَوْؤُهُ يَقُولُ: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ"

• وفي تفسير السمعاني (٦ / ١٠٣)

"وَعَنْ أَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الْكُسُوفُ أَنْ يَذْهَبَ بَعْضُ الضَّوْءِ، وَالْخُسُوفُ أَنْ يَذْهَبَ جَمِيعُ الضَّوْءِ."

فذلك هذا أن حقيقة الخسوف والكسوف هو ذهاب الضوء وليس شيئاً يغطي الشمس أو القمر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠

• جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧ / ٥٨)

"وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} قَالَ: لِكُلِّ حَدٍّ وَعِلْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَلَا يَقْصُرُ دُونَهُ إِذَا جَاءَ سُلْطَانٌ هَذَا ذَهَبَ سُلْطَانٌ هَذَا وَإِذَا جَاءَ سُلْطَانٌ هَذَا ذَهَبَ سُلْطَانٌ هَذَا"

رابعاً: النجوم:

خلق الله تعالى النجوم وجعلها في هذه السماء تسبح في فلكها، وهي زينة للسماء وعلامات يهتدي بها الناس في سفرهم وسيرهم ورجوم للشياطين إذا استرقوا السمع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ۝١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ

شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ الحجر: ١٦ - ١٧

• جاء تفسير الطبري (١٤ / ٣٢)

"بسنده عن ابن عباس، قال: "تَصْعَدُ الشَّيَاطِينُ أَفْوَاجًا تَسْتَرْقُ السَّمْعَ، قَالَ: فَيَنْفَرِدُ الْمَارِدُ مِنْهَا فَيَعْلُو، فَيَرْمِي بِالشَّهَابِ فَيُصِيبُ جَبْهَتَهُ أَوْ جَنْبَهُ أَوْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُ فَيَلْتَهُبُ، فَيَأْتِي أَصْحَابَهُ وَهُوَ يَلْتَهُبُ، فَيَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَذْهَبُ أُولَئِكَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْكَهَنَةِ، فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ أَضْعَافَهُ مِنَ الْكَذِبِ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ، فَإِذَا رَأَوْا شَيْئًا مِمَّا قَالُوا قَدْ كَانَ صَدَقُوهُمْ بِمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ "

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٢﴾

فصلت: ١٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ۝١٥﴾ الملك: ٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝١٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا

يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ

الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ الصافات: ٦ - ١٠

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٦٠١ / ٣)

"إنا زينا السماء الدنيا لأنها أدنى السماء من الأرض وأقربها"

• جاء في تفسير الطبري (٤٩٩ / ١٩)

"حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كَانَتْ لِلشَّيَاطِينِ مَقَاعِدُ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْوَحْيَ، قَالَ: وَكَانَتْ النُّجُومُ لَا تَجْرِي، وَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ لَا تُرْمَى، قَالَ: فَإِذَا سَمِعُوا الْوَحْيَ نَزَلُوا إِلَى الْأَرْضِ، فَزَادُوا فِي الْكَلِمَةِ تِسْعًا؛ قَالَ: فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ الشَّيْطَانُ إِذَا قَعَدَ مَقْعَدَهُ جَاءَ شِهَابٌ، فَلَمْ يُحِطْ بِهِ حَتَّى يُحْرِقَهُ، قَالَ: فَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا لِأَمْرِ حَدَثٌ؛ قَالَ: فَبُعِثَ جُنُودُهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْ نَخْلَةٍ؛ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي بَطْنَ نَخْلَةٍ، قَالَ: فَرَجَعُوا إِلَى إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ، قَالَ: فَقَالَ هَذَا الَّذِي حَدَّثَ"

• وفي تفسير الطبري (٥٠٨ / ١٩)

"قَوْلُهُ: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} [الصفات: ١٠] يَقُولُ: إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ مِنْهُمْ {فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصفات: ١٠] يَعْنِي: مُضِيٌّ مُتَوَقِّدٌ
ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطُ، عَنْ الشُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: {شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصفات: ١٠] قَالَ: «شِهَابٌ مُضِيٌّ يُحْرِقُهُ حِينَ يُرْمَى بِهِ»"

• وجاء في تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٥٩ / ٧)

"عَنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ مَبِينٌ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الشَّهْبَ لَا تَقْتُلُ، وَلَكِنْ تَحْرِقُ وَتُخْبِلُ وَتَجْرَحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْتُلَ"

• وفي صحيح البخاري (١٢٢ / ٦)

عن أبي هريرة يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعِلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةٍ، فَيَقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ "

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ الأنعام: ٩٧

• جاء في تفسير الطبري (٤٣١ / ٩)

"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَتْيَا النَّاسِ النُّجُومَ أَدِلَّةً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِذَا ضَلَلْتُمْ الطَّرِيقَ، أَوْ تَحَيَّرْتُمْ فَلَمْ تَهْتَدُوا فِيهَا لَيْلًا تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَتَهْتَدُونَ بِهَا إِلَى الطَّرِيقِ وَالْمَحَجَّةِ فَتَسْلُكُونَهُ، وَتَنْجُونَ بِهَا مِنْ ظُلُمَاتٍ ذَلِكَ

ثم قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: ثَنِي أَبِي قَالَ: ثَنِي عَمِّي قَالَ: ثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام: ٩٧] قَالَ: «يُضِلُّ الرَّجُلُ وَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ وَالْجُورِ عَنِ الطَّرِيقِ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ النحل: ١٦

• جاء في تفسير الطبري (١٤ / ١٩٣)

"حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦] " وَالْعَلَامَاتُ: النُّجُومُ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثِ خَصَلَاتٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَجَعَلَهَا يَهْتَدِي بِهَا، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، فَمَنْ تَعَاطَى فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ " اهـ

والنجوم تسبح في أفلاكها كما قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ ﴿١٦﴾ التكوير:

١٥ - ١٦

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٦٠٢)

"فلا أقسم يعني أقسم بالخنس وهي خمس من الكواكب، بهرام، والزهرة، وزحل، والبرجهس يعني المشتري، وعطارد، والخنس التي خنست بالنهار فلا ترى، وظهرت بالليل فترى، قال: الجوار الكنس لأنهن يجرين في السماء الكنس يعني تتوارى كما تتوارى الظباء في كناسهن."

• وجاء في تفسير يحيى بن سلام (١ / ٣١٠)

"حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَوْفِ الْبِكَالِيِّ قَالَ: إِنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ لَزِيقٌ، وَإِنَّهَا تَجْرِي فِي فَلَكٍ دُونَ السَّمَاءِ"

• وفي العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٤ / ١٢١٢)

بسنده عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠] قَالَ: «النُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ». قَالَ: «كَفَلَكَ الْمِغْزَلِ». قَالَ: «وَهُوَ مِثْلُ الْحُسْبَانِ». قَالَ: «فَلَا يَدُورُ الْمِغْزَلُ إِلَّا بِالْفَلَكَ، وَلَا تَدُورُ الْفَلَكَ إِلَّا بِالْمِغْزَلِ، وَلَا تَدُورُ الرَّحَى إِلَّا بِالْحُسْبَانِ، وَلَا يَدُورُ الْحُسْبَانُ إِلَّا بِالرَّحَى، كَذَلِكَ النُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، فِي فَلَكٍ لَا يَدُورُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَدُورُ إِلَّا بِهِنَّ» قَالَ:

فَنَقَرَ بِأَصْبَعِهِ فَقَالَ مُجَاهِدٌ: "يَدُورُونَ كَذَلِكَ، كَمَا نَقَرَ قَالَ: وَالْحُسْبَانُ وَالْفَلَكَ يُصِيرَانِ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، غَيْرَ أَنَّ الْحُسْبَانَ فِي الرَّحَى كَالْفَلَكَ فِي الْمَغْزَلِ."

خامسا: الريح:

الريح مخلوق من مخلوقات الله تعالى يصرفها الله تعالى حيث شاء، وهي لا تخرج عن أمره تعالى، فيثير بها السُّحب، ويجري بها الفلك في البحر، وهي جند من جند الله ينصر بها عبدا ويعذب بها آخرين. وقد سخرها الله تعالى لنييه سليمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجن: ٥]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

• جاء في تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٩١)

عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ} [الجن: ٥] قَالَ: «تَصْرِيفُهَا إِنْ شَاءَ جَعَلَهَا رَحْمَةً وَإِنْ شَاءَ جَعَلَهَا عَذَابًا»

• وفي مسند أحمد (١٢/ ٣٧٥)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا تُجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا "

• وفي سنن الترمذي (٩١ / ٤)

"عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أَمَرْتَ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمَرْتَ بِهِ."

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِدُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الأحقاف: ٢٤ - ٢٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَنَاقُوتًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايِلَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ فصلت: ١٥ - ١٦

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ القمر: ١٨ - ١٩

• وفي الصحيحين:

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجِمًّا ضَاحِكًا، حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غِيَمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَى النَّاسَ، إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا، رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: {هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} [الأحقاف: ٢٤]"

• وفي صحيح مسلم (٢/ ٦١٦)

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ الأحزاب: ٩

• في الصحيحين:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»

• وفي تفسير الطبري (١٩/ ٢٨)

"بسنده عن مجاهد قال: وَقَوْلُهُ: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا} [الأحزاب: ٩] قَالَ: رِيحُ الصَّبَا، أُرْسِلَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخُنْدَقِ حَتَّى كَفَّاتْ قُدُورَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهَا، وَنَزَعَتْ فَسَاطِيطَهُمْ حَتَّى أَظَعَّتَهُمْ."

• وفي كتاب المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا (ص: ١٦٥)

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صُدْرَانَ، نَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو بَحْرٍ، نَا سَلَمُ بْنُ زُرَيْرٍ، نَا أَبُو رَجَاءٍ الْعَطَّارِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «الْمِجْرَةُ بَابُ السَّمَاءِ، وَطَرَفُهَا مِنْ هَاهُنَا تِهْبُ الصَّبَا، وَطَرَفُهَا مِنْ هَاهُنَا تِهْبُ الدَّبُورِ، يَتِيَامُنُ وَيَتِيَّاسُرُ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ

طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ يونس: ٢٢

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى

ظُهُورِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ الشورى: ٣٢ - ٣٣

• جاء في تفسير الطبري (٢٠ / ٥١٥)

"بسنده عن مجاهد، قوله: {الجوار في البحر} [الشورى: ٣٢] قال: «السفن»
وبسنده عن قتادة، قوله: {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره} [الشورى: ٣٣] سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكت عنها الريح
ركدت قال الله عز وجل: {إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور} [إبراهيم: ٥]"

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ فاطر: ٩

• جاء في تفسير الطبري (١٩ / ٣٣٦)

"بسنده عن قتادة، قوله: {والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا} [فاطر: ٩] قال: «يرسل
الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة»"

• وفي صحيح البخاري (٤ / ١٩٥)

عن أنس رضي الله عنه، قال: أصاب أهل المدينة فحط على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فبينما هو يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع، هلكت
الشاء، فادع الله يسقينا، «فمد يديه ودعا»، قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة، **فهاجت ريح**
أنشأت سحابا، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عز إليها، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا،
فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره، فقال يا رسول الله: تهدمت
البيوت فادع الله يحبسها، فتبسّم، ثم قال: «حوالينا ولا علينا» فنظرت إلى السحاب تصدع حول
المدينة كأنه إكليل.

وقال تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾﴾ الأنبياء: ٨١

• جاء في تفسير الطبري (١٦ / ٣٣١)

بسند عن وهب بن مئبّه، قال: كَانَ سُليْمَانُ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ عَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ، وَقَامَ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَى سَرِيرِهِ. وَكَانَ أَمْرًا غَزَاءً، قَلَّمَا يَقْعُدُ عَنِ الْغَزْوِ، وَلَا يَسْمَعُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِمَلِكٍ إِلَّا أَنَّهُ حَتَّى يُذَلَّهُ. وَكَانَ فِيهَا يَزْعُمُونَ إِذَا أَرَادَ الْغَزْوَ، أَمَرَ بِعَسْكَرِهِ فَضُرِبَ لَهُ بِخَشَبٍ، ثُمَّ نُصِبَ لَهُ عَلَى الْخَشَبِ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَالِدَوَابُّ وَالْأَلَّةُ الْحَرْبُ كُلُّهَا، حَتَّى إِذَا حَمَلَ مَعَهُ مَا يُرِيدُ أَمَرَ الْعَاصِفَ مِنَ الرِّيحِ، فَدَخَلَتْ تَحْتَ ذَلِكَ الْخَشَبِ فَاحْتَمَلَتْهُ، حَتَّى إِذَا اسْتَقَلَّتْ أَمَرَ الرُّحَاءَ، فَمَدَّنَتْهُ شَهْرًا فِي رَوْحَتِهِ وَشَهْرًا فِي غُدْوَتِهِ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ﴾^(١٢)
سبأ: ١٢

• جاء في تفسير الطبري (١٩ / ٢٢٧)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَسَخَرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ، غُدُوُّهَا إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَاحُهَا مِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. ثم ساق بسنده عن قتادة، قوله: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} [سبأ: ١٢] قَالَ: "تَغْدُو مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَتَرُوحُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، قَالَ: مَسِيرَةُ شَهْرَيْنِ فِي يَوْمٍ"

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۖ﴾^(٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۖ﴾^(٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ﴾^(٣٦) ص: ٣٤ - ٣٦

• جاء في تفسير الطبري (٢٠ / ٩٥)

بسند عن قتادة، {فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} قَالَ: "سَرِيعَةً طَيِّبَةً، قَالَ: لَيْسَتْ بِعَاصِفَةٍ وَلَا بَطِيئَةٍ"

وبسند عن ابن عباسٍ والضَّحَّاك، قوله: {رُخَاءً} يَقُولُ: «مُطِيعَةً لَهُ».

سادسا: المطر والسحب والرعد والبرق:

يُنزل الله المطر من الماء الذي تحت عرش الرحمن ويمر عبر أبواب السماوات إلى أن يصل إلى السماء الدنيا فتتلقفه الرياح وتوزّعه على السحب.

والسحبُ غرايل المطر إذ لو نزل على الأرض من السماء دون سحب لأهلكنا.

والسحب يسوقها ملك عظيم كما يسوق الراعي إبله، ويزجرها بصوته وهو الرعد الذي نسمعه، ويده مخراق من نار مثل السوط يسوق بها السحب إذا ضربها به ظهر البرق، كذلك إذا صرخ بها طارت نار من فهمه فظهر البرق أيضا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ

﴿١٨﴾ المؤمنون: ١٨

• جاء في تفسير الطبري (١٧ / ٢٧)

"حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ} [المؤمنون: ١٨] «مَاءٌ هُوَ مِنَ السَّمَاءِ»"

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ

﴿١١﴾ الزخرف: ١١

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي

الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ الزمر: ٢١

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣٢٤٩)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ قَالَ:
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَاءٌ إِلَّا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

• وجاء في تفسير الطبري (٢٠ / ١٨٨)

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، فِي قَوْلِهِ: {فَسَلَكَهُ
يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ} [الزمر: ٢١] قَالَ: «كُلُّ نَدَى وَمَاءٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

خِلَالِهِ ۚ﴾ [النور: ٤٣]

• جاء في تفسير الطبري (١٧ / ٣٣٥)

"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {أَلَمْ تَرَ} [البقرة: ٢٤٣] يَا مُحَمَّدُ {أَنَّ اللَّهَ
يُزْجِي} [النور: ٤٣] يَعْنِي يَسُوقُ {سَحَابًا} [الأعراف: ٥٧] حَيْثُ يُرِيدُ. {ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} [النور: ٤٣]
يَقُولُ: ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَ السَّحَابِ. وَأَضَافَ (بَيْنَ) إِلَى السَّحَابِ، وَلَمْ يُذَكِّرْ مَعَ غَيْرِهِ،
و (بَيْنَ) لَا تَكُونُ مُضَافَةً إِلَّا إِلَى جَمَاعَةٍ أَوْ اثْنَيْنِ، لِأَنَّ السَّحَابَ فِي مَعْنَى جَمْعٍ، وَاحِدُهُ سَحَابَةٌ،
كَمَا يُجْمَعُ النَّخْلَةُ: نَخْلٌ، وَالتَّمْرَةُ تَمْرٌ، فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِ قَائِلٍ: جَلَسَ فُلَانٌ بَيْنَ النَّخْلِ. وَتَأْلَيْفُ اللَّهِ
السَّحَابَ: جَمْعُهُ بَيْنَ مُتَفَرِّقِهَا. وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا} [النور: ٤٣] يَقُولُ: ثُمَّ يَجْعَلُ السَّحَابَ
الَّذِي يُزْجِيهِ وَيُؤَلِّفُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ {رُكَّامًا} [النور: ٤٣] يَعْنِي: مُتَرَكَامًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ
ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُهُ: {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [النور: ٤٣] يَقُولُ: فَتَرَى الْمَطَرَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
السَّحَابِ، وَهُوَ الْوَدْقُ."

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ

كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿الرَّوم: ٤٨﴾

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٤١٩ / ٣)

"يقول يجعل الريح السحاب قطعاً يحمل بعضها على بعض فيضمه ثم ييسط السحاب في السماء كيف يشاء الله - تعالى -، إن شاء بسطه على مسيرة يوم أو بعض يوم أو مسيرة أيام يمطرون، فذلك قوله - عز وجل - فترى الودق يخرج يعني المطر يخرج من خلاله يعني من خلال السحاب فإذا أصاب به يعني بالمطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون"

• وفي تفسير الطبري (٥٢٠ / ١٨)

"بسنده عن قتادة، {وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا} [الروم: ٤٨] أَي قِطْعًا " وَقَوْلُهُ {فَتَرَى الْوَدْقَ} [الروم: ٤٨] يَعْنِي: الْمَطَرَ {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الروم: ٤٨] يَعْنِي: مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ."

• وفي كتاب المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا (ص: ٥٣)

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، نا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ مُعَاذٍ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لِتَيْبِيعٍ: سَمِعْتَ كَعْبًا يَقُولُ فِي السَّحَابِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «السَّحَابُ غُرْبَالُ الْمَطَرِ، وَلَوْ لَا السُّحْبُ لَأُفْسِدَ مَا يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ» وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره وغيره.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ

مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ البقرة: ٢٢

• جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨٦ / ١)

"وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن خالد بن معدان قال: «إِنَّ الْمَطَرَ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَيَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، حَتَّى يَجْتَمِعَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقَعُ فِي شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ الْإِبْزَمُ فَيَجْتَمِعُ فِيهِ، ثُمَّ يَجِيءُ السَّحَابُ السَّودَاءُ فَتَدْخُلُهُ فَتَشْرَبُهُ مِثْلَ شُرْبِ الْإِسْفِنْجَةِ، فَيَسُوقُهَا اللَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ»

• وفي تفسير ابن أبي حاتم وكتاب المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا:
عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: «يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَتَقَعُ الْقَطْرَةُ مِنْهُ عَلَى السَّحَابَةِ
مِثْلَ الْبَعِيرِ»

• وفي صحيح مسلم (٢/ ٦١٥)
عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟
قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»

• وفي الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي (ص: ٥٨)
"أورد حديث أنس السابق ثم قال: ولو كان على ما يقول هؤلاء الزائغة أنه في كل مكان؛ ما
كان المطر أحدث عهداً بالله مِنْ غَيْرِهِ من المياه والخلائق."

• وفي مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٩)
عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْمَطَرُ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ، وَيَقُولُ: «حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْعَرْشِ»
• قال ابن رجب في فتح الباري (٩/ ٢٣٥):

"وهذا يدل على أن عليا كان يرى أن المطر ينزل من البحر الذي تحت العرش.
ثم قال: وكذلك قاله عكرمة وخالد بن معدان وغيرهما من السلف: أن المطر ينزل من تحت
العرش، وروي عن ابن عباس من وجوه ما يدل عليه. وأما من قال: أن المطر كله من ماء
البحر؛ فإنه ما لا علم له به. فإن استدل بأنه يشاهد اغتراف السحاب من البحر، فقد حكم
حكماً كلياً بنظر جزئي، ومن أين له أن كل السحاب كذلك؟"

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ

﴿٢٢﴾ الحجر: ٢٢

• جاء في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٢٧)

" وأرسلنا الرياح لواقع وذلك أن الله يرسل الريح فتأخذ الماء بكيل معلوم من سماء الدنيا ثم تثير الرياح والسحاب فتلقي الريح السحاب بالماء الذي فيها من ماء النبت ثم تسوق تلك الرياح السحاب إلى الأرض التي أمر الرعد أن يمطرها"

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ١٤: النبأ:

• الدر المنثور في التفسير بالماثور (٨/ ٣٩٢)

"وأخرج الشافعي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والخرائطي والبيهقي في سننه عن ابن مسعود في قوله: {وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً} قال: يبعث الله سحاباً فتحمل الماء من السماء فتمر به السحاب فتدر كما تدر اللقحة والشجاج ينزل من السماء أمثال العزالي فتصرفه الرياح فينزل متفرقاً"

• تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٥٩)

"وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً يعني مطراً كثيراً منصبا يتبع بعضه بعضاً، وذلك أن الله - عز وجل - يرسل الرياح «فتأخذ الماء من سماء الدنيا من بحر الأرزاق، ولا تقوم الساعة ما دام به قطرة ماء، فذلك قوله: «وفي السماء رزقكم وما توعدون قال تجيء الريح فتثير سحاباً فتلقحه ثم تمطر وتخرج الريح والمطر جميعاً من خلل السحاب"

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١١: القمر:

• جاء في تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٠)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بِالماءِ مِنْ غَيْرِ سَحَابٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَالْتَقَى الْمَاءُ. اهـ

فلما لم تمر المياه بالسحب ونزلت مباشرة من أبواب السماء حصل الطوفان.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ١٢ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ الرعد: ١٢ - ١٣

• جاء في سنن الترمذي (١٤٥ / ٥)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنْ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: "مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ"، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: "زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ"، قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: "اشْتَكَى عِرْقُ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاقِيهِ إِلَّا لَحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَنَاتِ فَلَدَلِكَ حَرَمُهَا" قَالُوا: صَدَقْتَ. " قال ابن منده في التوحيد (١ / ١٦٩): هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ وَرَوَاتُهُ مَشَاهِيرُ ثِقَاتٌ "

• وفي تفسير الطبري (١ / ٣٥٨)

بِسْنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " الرَّعْدُ: مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ " وفيه بسنده عن ابن عباس، قَالَ: " الرَّعْدُ: مَلَكٌ يَسُوقُ السَّحَابَ بِالتَّسْبِيحِ، كَمَا يَسُوقُ الْحَادِي الْإِبِلَ بِحُدَائِهِ.

وفيه بسنده عن مجاهد، قَالَ: " الرَّعْدُ: مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ "

وفيه بسنده عن عكرمة، قَالَ: " الرَّعْدُ: مَلَكٌ يَسُوقُ السَّحَابَ كَمَا يَسُوقُ الرَّاعِي الْإِبِلَ " وفيه بسنده عن شهر بن حوشب، قَالَ: " الرَّعْدُ: مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، يَسُوقُهُ كَمَا يَسُوقُ الْحَادِي الْإِبِلَ، يُسَبِّحُ كُلَّمَا خَالَفَتْ سَحَابَةٌ سَحَابَةً صَاحَ بِهَا، فَإِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ طَارَتِ النَّارُ مِنْ فِيهِ فَهِيَ الصَّوَاعِقُ الَّتِي رَأَيْتُمْ "

• وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٧٠)

"والرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو موكل بالسحاب صوته تسبيحه، يزجر السحاب ويؤلف بعضه إلى بعض ويسوقه بتسبيحه إلى الأرض التي أمر الله - تعالى - أن تمطر فيها."

• وفي الأدب المفرد للبخاري (ص: ٢٥٢)

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَوَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ."

تنبيه: فالمطر ليست أبخرة تتصاعد من البحار كما يزعمه المنجمون، والرعد لا يُفسر بالظواهر الطبيعية كما يسمونها بل يلتزم فيه التفسير النبوي الأثري والله المستعان.
فما أبعد الهوة بين ما جاءنا عن الوحي، وبين ما يهرف به الفلاسفة والمنجمون.

وما أحسن ما قاله القحطاني في النونية:

وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلَا أَبْدَانٍ	عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ الْغَوَاةِ طَبِيعَةٌ
لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ	لَوْ لَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا
وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ	وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ
دَامَتْ يَهْطِلُ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ	وَالْغَيْثُ أَبْخَرَةٌ تَصَاعِدُ كُلَّمَا
صَوْتُ اضْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الْأَعْنَانِ	وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بَزْعَمِهِ
بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الْأَحْيَانِ	وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ شُوَاطِئُ خَارِجٍ
هَذَا وَأَسْرَفَ أَيُّهَا هَذَيَانِ	كَذَبَ أَرْسَطَالَيْسُهُمْ فِي قَوْلِهِ
وَيَكِيلُهُ مِكَالُ بِالْمِيزَانِ	الْغَيْثُ يَفْرُغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَاءِ
مَلَكٌ إِلَى الْأَكَامِ وَالْفَيْصَانِ	لَا قَطْرَةٌ إِلَّا وَتَنْزِلُ نَحْوَهَا
يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الْأَظْعَانِ	وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهُوَ اسْمُهُ

وَالْبَرْقُ شَوْظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ
أَفْكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرْسَطَالِيْسُهُمْ
أَمْ غَابَ تَحْتَ الْأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَاءِ
أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا
أَمْ سَارَ بِطَلِيمُوسُ بَيْنَ نُجُومِهَا
أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهَلَاَهَا
أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا
بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللَّهِ الَّذِي

زَجَرَ الْحُدَاةِ الْعِيسِ بِالْقُضْبَانِ
تَدْيِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ
فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأَى عَيَانَ
أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ
حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي
أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ
بِالْغَيْثِ يَهْمِلُ أَيَّامًا هَمَلَانِ
بِقَضَائِهِ مُتَصَرِّفُ الْأَزْمَانِ

خاتمة، نسأل الله حسننها

قد اجتهدت في هذه الخلاصة أن أجمع ما تيسر من الأدلة والآثار التي تجلّي حقيقة هذا الخلق العظيم الذي خلقه ربّ العالمين وامتنّ علينا بخلقه، وأنت ترى الفرق الكبير بين ما جاء في الوحي واعتقده السلف، وبين ما يعتقده المنجمون والفلاسفة.

وقد قام كثير من الباحثين في علوم الفيزياء وغيرها ببيان بطلان كروية الأرض من الناحية الفيزيائية والحسابية والبراهين الحسية، ولم أُرِدْ إقحام ذلك في هذه الرسالة إذ المقصود بيان ما جاء به الشرع عن وصف الخلق، والمسلم يقابل الشرع وما جاء من ذكر المسائل الغيبة بالتسليم والتصديق ولا يطالب عليه براهين تجريبية ولا حسابية .

فلا تنهيب اعتقاد الحق لمخالفة زيد أو عُبيد من النَّاس إذا ظهر لك دليله.

واعلم أنّ شنشنة المنجمين والفلاسفة والفيزيائيين في تصوير الخلق ليس إلا حسابات وظنون تعسّفوا في إثباتها ليختزلوا الخلق العظيم في بعض المعادلات التي توصلوا إليها من خلال أبحاث جزئية فعمموا حسابتهم على ما يغيب عنهم وقاسوا الغيب بقوانين الشهادة فوقعوا في خلط عظيم.

واعلم كذلك أنّ الصور التي تنشرها ما تسمّى بوكالات الفضاء لأرضهم المكورة كلّها ليست صورا حقيقية تم التقاطها، بل هو باعترافهم في مواقعهم أنّها صور تحاكي الأرض ركبوها من خلال جمع البيانات التي تحصلها مراصدهم -زعموا- .

فاستمسك بالوحي وما كان عليه السلف ولا يصدّنك كثرة المخالفين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ

﴿٣﴾ الأعراف: ٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ المائدة:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١١٦)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣)

وكن رحمك الله معظمًا للسلف موقرًا للصحابة، وإيّاك أن تتصوّر أنّك ستصيب حقًا يضل عنه أهل القرون المفضّلة..

وإيّاك أن تظن أنّ ما امتلأت به كتب الآثار والتفاسير الأثرية في وصف الخلق المنقول عن الصحابة والتابعين ليس إلا ظنونا تصوروها لضعف علومهم وقلة معارفهم، فإنّك إن ظننت ذلك خبت وخسرت وأساءت الظنّ بتلاميذ رسول الله ﷺ وتلاميذ تلاميذهم.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤)

والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو المهند شكوي بن التوفيق بن عثمان